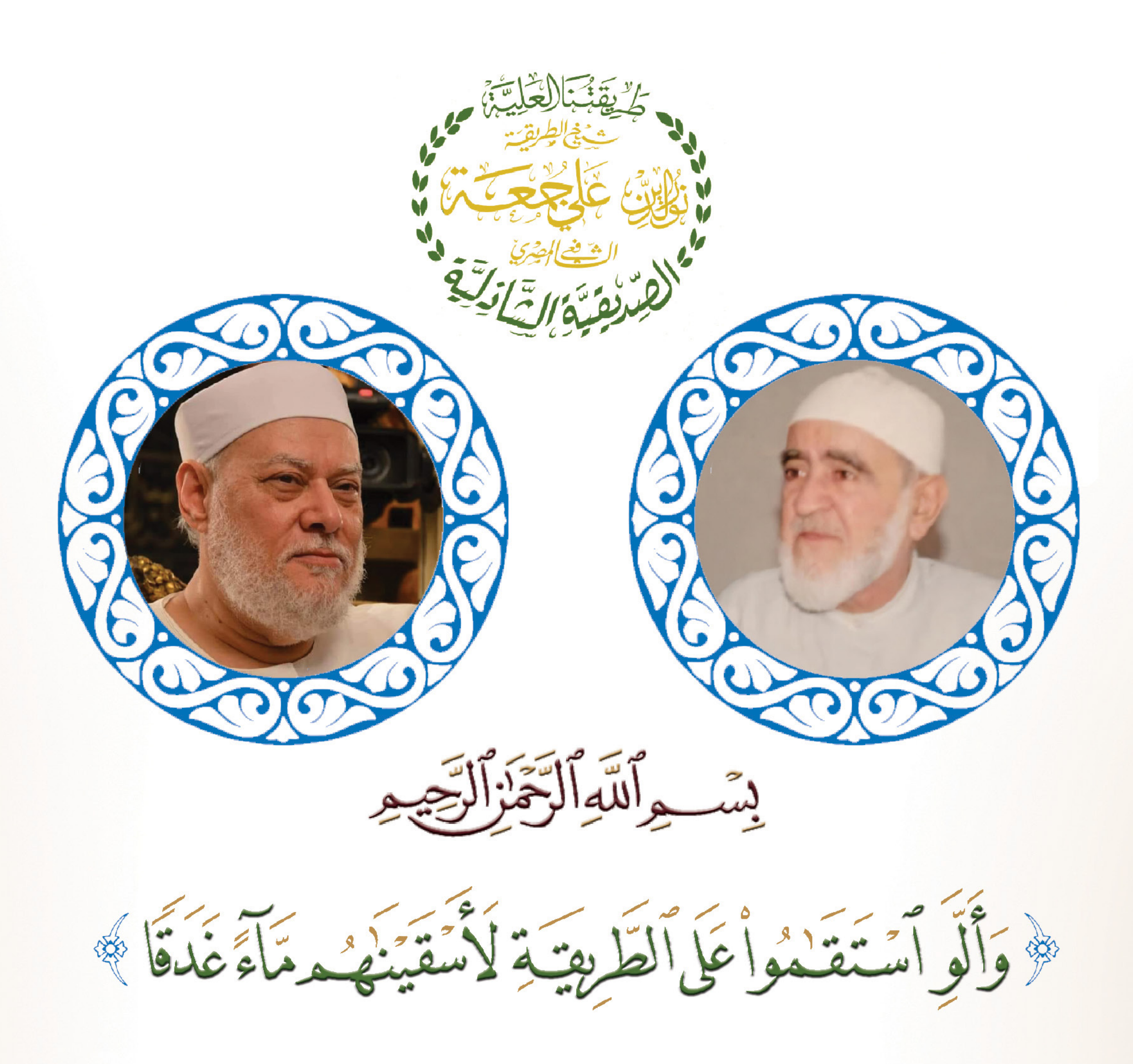

عدد المولد
النبوي الشريف
ثلاث هدايا قيمة
مع العدد
المولد العلي
**
الفوائد العليّة
**
أدعية برنامج مصر
أرض الصالحين
العَدَد: ٧
(السنة الثانية)
ربيع الأول ١٤٤٤ هـ - أكتوبر ٢٠٢٢ م
الصّدّيقيّة
مجلّة سُنِّية صوفيّة الكترونية تصدر عن
مؤسسة الصديقيّة للخدمات الثقافية والاجتماعية
تحت اشراف
الأستاذ الدّكتور علي جُمعَة
عُضو هَيئَةِ كِبار العُلماء بالأزهرِ الشَريف
المؤسسة
الصّدّيقيّة



وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا

مجلّة سُنِّية صوفيّة الكترونية تصدر عن

مؤسسة الصديقيّة للخدمات الثقافية والاجتماعية

الـمشهرة برقم ٩٣٢ لسنة ٢٠٢٠

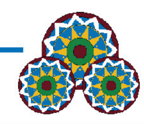
هَيْئَةِ التَّحْرِيرِ

مُحَمَّد عَوَض المَنْقُوْش | عَبْدُاللّهِ أبُوذِكرِى | عَبْدُالعَزِيْز مَعرُوْف

تَصْمِيْم وَتنْسِيْق

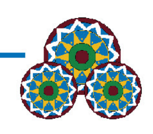
إيمَانْ أشرَف عِزَتْ

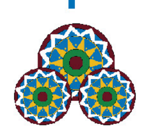
المحتويات





المحتويات





١

افتتاحية العدد

أ.د/ علي جمعة

عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

شيخ الطريقة الصديقية الشاذلية

facebook.com/DrAliGomaa

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ورسول الله وعلى آله وصحبه وسلم.

تهل علينا أنوار ربيع الأنور فتأخذنا لذكرى الرحمة المهداة للعالمين صلى الله عليه وآله وسلم ، فالمولد النبوي الشريف إطلالة للرحمة الإلهية بالنسبة للتاريخ البشري جميعه، وقد عبر القرآن الكريم عن وجود النبي ﷺ بأنه «رحمة للعالمين»، والمتأمل لهذا التعبير القرآني البديع يجد أن الرحمة لم تكن محدودة، فهي تشمل تربية البشر وتزكيتهم وتعليمهم وهدايتهم نحو الصراط المستقيم وتقدمهم على صعيد حياتهم المادية والمعنوية، كما أنها لا تقتصر على أهل ذلك الزمان، بل تمتد على امتداد التأريخ بأسره {وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ}.

والاحتفال بذكرى مولد سيد الكونين وخاتم الأنبياء والمرسلين نبي الرحمة سيدنا محمد ﷺ من أفضل الأعمال وأعظم القربات، لأنه تعبير عن الفرح والحب للنبي ﷺ ومحبّة النبي ﷺ أصل من أصول الإيمان، وقد صح عنه أنه ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده وولده». [مسلم]. وأنه ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من

ولده ووالده والناس أجمعين». [البخاري]

قال ابن رجب: «محبَّة النبي – ﷺ – من أصول الإيمان، وهي مقارنة لمحبة الله عز وجل، وقد قرنها الله بها، وتوعد من قدَّم عليهما محبَّة شيء من الأمور المحبَّبة طبعًا من الأقارب والأموال والأوطان وغير ذلك، فقال تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} . ولما قال عمر للنبي – ﷺ –: أنت أحبُّ إليَّ من كلِّ شيء إلاَّ من نفسي فقال: «لا يا عمر، حتَّى أكون أحبَّ إليك من نفسك» فقال عمر: والله أنت الآن أحبُّ إليَّ من نفسي، قال: «الآن يا عمر». [البخاري].

والاحتفال بمولده ﷺ هو الاحتفاء به، والاحتفاء به ﷺ أمر مقطوع بمشروعيته، لأنه أصل الأصول ودعامتها الأولى، فقد علم الله سبحانه وتعالى قدر نبيه، فعرَّف الوجود بأسره باسمه وبمبعثه وبمقامه وبمكانته، فالكون كله في سرور دائم وفرح مطلق بنور الله وفرجه ونعمته على العالمين وحجته.

وقد درج سلفنا الصالح منذ القرن الرابع والخامس على الاحتفال بمولد الرسول الأعظم صلوات الله عليه وسلامه بإحياء ليلة المولد بشتى أنواع القربات من إطعام الطعام وتلاوة القرآن والأذكار وإنشاد الأشعار والمدائح في سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما نص على ذلك غير واحد من المؤرخين مثل الحافظين ابن الجوزي وابن كثير، والحافظ ابن دحية الأندلسي، والحافظ ابن حجر، وخاتمة الحفاظ جلال الدين السيوطي رحمهم الله تعالى.

وألف في استحباب الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف جماعة من العلماء والفقهاء بيَّنوا بالأدلة الصحيحة استحباب هذا العمل؛ بحيث لا يبقى لمن له عقل وفهم وفكر سليم إنكار ما سلكه سلفنا الصالح من الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف، وقد أطال ابن الحاج في [المدخل] في ذكر المزايا المتعلقة بهذا الاحتفال، وذكر في ذلك كلاما مفيدا يشرح صدور المؤمنين، مع العلم أن ابن الحاج وضع كتابه المدخل في ذم البدع المحدثة التي لا يتناولها دليل شرعي.

قال خاتمة الحفاظ جلال الدين السيوطي في كتابه «حسن المقصد في عمل المولد» بعد سؤال رفع إليه عن عمل المولد النبوي في شهر ربيع الأول ما حكمه من حيث الشرع، وهل هو محمود أو مذموم، وهل يثاب فاعله؟ قال: «والجواب عندي أن أصل عمل المولد الذي هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسر من القرآن ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبي

- ﷺ- وما وقع في مولده من الآيات، ثم يمد لهم سماط يأكلونه و ينصرفون من غير زيادة على ذلك هو من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها، لما فيه من تعظيم قدر النبي - ﷺ- وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف.

وقد رد السيوطي على من قال: «لا أعلم لهذا المولد أصلا في كتاب ولا سنة» بقوله: «نفي العلم لا يلزم منه نفي الوجود مبينا أن إمام الحفاظ أبا الفضل ابن حجر رحمه الله تعالى قد استخرج له أصلا من السنة، واستخرج له هو - يعني السيوطي- أصلا ثانيا موضحا أن البدعة المذمومة هي التي لا تدخل تحت دليل شرعي في مدحها أما إذا تناولها دليل المدح فليست مذمومة»

روى البيهقي عن الشافعي رضي الله تعالى عنه قال: «المحدثات من الأمور ضربان: أحدهما : أحدث مما يخالف كتابا أو سنة أو أثرا أو إجماعا فهذه البدعة الضلالة، والثاني : ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد وهذه محدثة غير مذمومة. وقد قال عمر بن الخطاب في قيام شهر رمضان نعم البدعة هذه، يعني أنها محدثة لم تكن، وإذا كانت فليس فيها رد لما مضى هذا آخر كلام الشافعي.

قال السيوطي: «وعمل المولد ليس فيه مخالفة لكتاب ولا سنة ولا أثر ولا إجماع، فهي غير مذمومة كما في عبارة الشافعي وهو من الإحسان الذي لم يعهد في العصر الأول، فإن إطعام الطعام الخالي عن اقتراف الآثام إحسان، فهو إذن من البدع المندوبة كما عبر عنه بذلك سلطان العلماء العز ابن عبد السلام».

وأصل الاجتماع لإظهار شعار المولد مندوب وقربة، لأن ولادته أعظم النعم علينا والشريعة حثت على إظهار شكر النعم، وهذا ما رجحه ابن الحاج في المدخل حيث قال: «لأن في هذا الشهر منّ الله تعالى علينا بسيد الأولين والآخرين، فكان يجب أن يزاد فيه من العبادات والخير وشكر المولى على ما أولانا به من النعم العظيمة».

والأصل الذي خرج عليه الحافظ ابن حجر عمل المولد النبوي هو ما ثبت في الصحيحين من أن النبي - ﷺ - قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم فقالوا: هذا يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى فنحن نصومه شكرا لله تعالى، قال الحافظ: ... «فيستفاد منه فعل شكر الله على ما من به في يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة، والشكر يحصل بأنواع العبادات كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة، وأي نعمة أعظم من نعمة بروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك اليوم»

ويؤكد الحافظ ابن حجر على ما ينبغي أن يعمل في الاحتفال فيقول:» فينبغي أن نقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم ذكره من التلاوة والإطعام وإنشاد شيء من المدائح النبوية والزهدية المحركة للقلوب إلى فعل الخير والعمل للآخرة وما كان مباحا بحيث يقتضي السرور بذلك اليوم لا بأس بإلحاقه به».

ونقل السيوطي عن إمام القراء الحافظ شمس الدين ابن الجزري من كتابه «عرف التعريف بالمولد الشريف» قوله: «إنه صح أن أبا لهب يخفف عنه العذاب في النار كل ليلة اثنين لإعتاقه ثويبة عندما بشرته بولادة النبي عليه الصلاة والسلام. فإذا كان أبو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمه جوزي في النار بفرحه ليلة مولد النبي عليه السلام، فما حال المسلم الموحد من أمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسر بمولده ويبذل ما تصل إليه قدرته في محبته لعمري إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله جنة النعيم. وأنشد الحافظ شمس الدين الدمشقي في كتابه المسمى مورد الصادي في مولد الهادي:

إذا كان هذا كافرا جاء ذمه ...
وتبّت يداه فى الجحيم مخلدا
أتى أنه في يوم الاثنين دائما ...
يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذى كان عمره ...
بأحمد مسرورا ومات موحدا؟

ويمكن الاستدلال بعموم قوله تعالى: {وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ}، فلا شك أن مولد النبي ﷺ من أيام الله فيكون الاحتفال به ما هو إلا تطبيقاً لأمر الله، وما كان كذلك فلا يكون بدعة، بل يكون سنة حسنة حتى ولو لم يكن على عهد رسول الله ﷺ.

ونحن نحتفل بمولده ﷺ لأننا نحبه، ولما لا نحبه وقد عَرَفَه وأحبه وفرح به الكون، قال ﷺ: «إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس» [رواه أحمد والدارمي وابن أبي شيبة].

ومما سبق ذكره من أقوال الأئمة كابن حجر، وابن الجوزي، والسيوطي، وغيرهم، وتبين أن هذا حال الأمة من القرن الخامس الهجري، نرى استحباب الاحتفال بالمولد الشريف موافقة للأمة والعلماء، وأن يكون الاحتفال بما ذكر من تلاوة القرآن والذكر وإطعام الطعام، ولا يتطرق إليه مظاهر مذمومة تخرج الاحتفال عن مقصوده الذي يملأ قلوبنا محبة وتعلقا بالجناب المحمدي صلى الله عليه وآله وسلم.

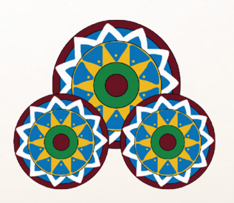
ولا عبرة بمن شذ عن هذا الإجماع العملي للأمة وأقوال هؤلاء الأئمة؛ وليس

ذلك الاحتفال بكثير على النبي ﷺ الرحمة المهداة حبيب رب العالمين، وقد أفرد العلامة سيدي محمد عبد الحي الكتاني تأليفا ماتعا « التآليف المولدية»، ذكر فيه مؤلفات علماء المسلمين التي تتعلق بالمولد المبارك والمطالع له يعلم كيف أحب المسلمون الرحمة المهداة.

وفي الختام أذكر قول صاحب البردة:

فهو الذي تم معناه وصورته ...
ثم اصطفاه حبيبًا بارئُ النَّسمِ
منزهٌ عن شريكٍ في محاسنه ...
فجوهر الحسن فيه غيرُ منقسمِ
دعْ ما ادعتْهُ النصارى في نبيهم ...
واحكم بما شئت مدحًا فيه واحتكم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف ...
وانسب إلى قدره ما شئت من عظمِ
فإن فضل رسول الله ليس له ...
حدٌّ فيعرب عنه ناطقٌ بفمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وسلم....







يا ربيع الخير...

د/مجدي عاشور

facebook.com/DrMagdyAshour

تتفاضل الأزمنة بما يحدث فيها من أحوال سَنِيَّة ، فشهر رمضان شُرِّف من أجل نزول القرآن الكريم فيه، يقول الله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥] ، ولما جاء هذا التكريم والتفضيل، ناسب أن يتساوق معه التكليف الذي يليق به، فجاء الأمر الرباني بالصيام، فوردت تتمة الآية السابقة بهذا الحكم، فقال سبحانه : ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[البقرة:١٨٥] . وكذلك نرى في فضيلة الأشهر الحُرُم الثلاثة المتتالية، شوال وذو القعدة وذو الحجة، حيث جاء فيها فريضة الحج، فقال عز وجل : ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ [البقرة:١٩٧] ، وغير ذلك من عباداتٍ شريفة منيفة.

ومن الأشْهُر التي شَرُفَ بها الزمان، وتنورت بها الأكوان، وحَقَّ أن يفخر بها من العقلاء ذوو البصائر والأحلام، ذاك هو شهر ربيع الأَوَّل، الذي حَلَّ فيه بالظهور العبدُ الأول والكامل المُكَمَّل، الذي غطى نوره نور كل المخلوقين، لأنه هو الأوحد الذي قال فيه رب العالمين : ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة:١٥]، وهو الذي ترجمت شيئًا من ذلك النور الساري أمُّهُ المباركة السيدة آمنة بنت وهبٍ عليها السلام؛ فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «رأَتْ أُمِّي كأنَّهُ خرجَ منها نورٌ ، أضاءَتْ منه قصورُ الشامِ» [أخرجه أحمد والطيالسي والحارث في مسانيدهم].

ولـمَّا خرج ذلك النور في شهر ربيع الأول، حَسُنَ بنا أن نسميه «ربيع الخير» ؛ إذ به عمَّت

الخيرات على مَن حوله وما حوله ، ليس في وقته بل إلى قيام الساعة، لأنه سيظل نبراسًا وهاديًا ودالًّا على ربه عز وجل. وقياسًا على ما ذكرناه أوّلًا من ربط الفضائل بالقربات، والتشريف بالتكليف، فما هو تكليفنا في شهر قد أَهَلَّ علينا فيه حبيبنا صاحب الطلعة البهية صلى الله عليه وآله وسلم ؟ ليس أقل من الاحتفال والاحتفاء بقدوم حضرته في شهر مولده ..

شهر (ربيع الخير)..

وها أنا ذا أخاطب شهر (ربيع الخير) الذي حَيِيَ بأن كان زمنًا وُلِدَ فيه صاحب كل خير ، ووجه الخير ، وقَدَم الخير ، ومصدر الخير، ومظهر الخير، ومرآة الخير، وطريق الخير ... لكل ذلك خاطبت (ربيع الخير) بتلك المناجاة والمخاطبات، وراعيت فيه حياته التي استمدها من صاحب الحياة الباقية والذكر الخالد، سيد الكونين والثقلين ... فقلت في ذلك :

(١) يا ربيع الخير:

عندما تأتي أول ليلة من ربيع الخير .. كأني وُلِدْتُ من جديد .. بل كأني كنت موجودًا بلا روح فأجد روحي عند مجيئك يا ربيع الحياة .. وإن كنت يوما أعاني قبلها من ظلام أو هَمٍّ أقول لنفسي : جاء الفرج والعطاء والحب بشهر ميلاد سيد ولد عدنان .. أول ليلة .. أول الفرحة .. فلتسعد يا مطيع ستزداد .. وتُجْبَر يا عاصي من خير زاد ..

يا حبيبًا جاء على شوق .. وجئتَ برحمة من فوق فوق ..

صلى الله عليه وآله وسلم

(٢) يا ربيع الخير:

لَمَّا هَلَّ الرَّبيعُ .. ربيعٌ الأَنْوَرُ .. سألْتُهُ وقلتُ له : يا ربيعُ ، أهكذا أنتَ جميلٌ مِن يومَ عَرَفُوكَ ؟! فَنَطَقَ بلسانِ الحالِ وقال لي : أنا لم أتَجَمَّلْ أو أتَزَيَّنْ إلا لأنني كنتُ الزمانَ الذي طَلَّ على الكَوْنِ فيه نُورُ (مُحَمَّد) .. فأنا لم يَكُنْ أحَدٌ يَعْرِفُنِي قَبْلَ ذلك .. بل كنتُ كسائر الشُّهور .. حتى شَرَّفَنِي رَبِّي بميلادِ حبيبي الكامل المؤَيَّد ..

هَنيئًا لك يا ربيعُ ، ونحن نَغْبِطُك .. فيكفيكَ فخرًا أنَّه عندما نَذْكُرُكَ نُصَلِّي ونُسَلِّمُ على حبيبنا صاحبِ العطاءِ والمدَد

صلى الله عليه وآله وسلم

(٣) يا ربيع الخير:

إذا سألناك يا شهرَ ربيعِ الأوَّل .. ربيعٍ الأنور .. ربيعِ الأجمل : يا ربيعُ ، ما الذي حَلَّاكَ ؟ وفَضَّلَكَ عمَّا سِوَاكَ ؟ سيقولُ في حياءٍ : لا تسألوني أنا. إذًا مَن نَسْأَلُ يا ربيعُ؟ قال : سَلُوا أُمَّنَا آمِنةَ أُمَّ النُّور، تلك التي حَمَلَتْ خير رسول.. فستخبركم بما رأتْ وهي الصادقةُ الحَنُون .. فأَنْصَتْنَا لسيِّدَتِنا أُمِّ نَبِيِّنا ماذا ستقول؟.. فقالت: (رأيتُ حِينَ وضعتُ

محمداً نُوراً أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ) .. قال ربيع : فَبِهِ صلى الله عليه وسلم كنتُ شهرَ النُّور والسُّرور .. وفَضَّلَنِي اللهُ مِن بَينِ الشُّهور .. صلى الله عليه وآله وسلم

(٤) يا ربيع الخير:

يا ربيع الخير استبشرت بمجيئك .. خاصة لما وجدتُ الهواء طلقًا في شهرك .. وارتفع عنا المطر حتى ما عاد يؤذينا .. وانصرف عنا المرض وابتعد عن أهالينا .. وقل فينا الموت وذهب عن نواحينا .. فأجابني الربيع قائلا : أريد أن أخبرك عن شيء قد يخفى عليك .. كل ما ذكرته لا تعتبره نقمة بل قد يكون سببًا لخير يصبح بين يديك .. فاجعله نعمة ما دام من المنعم واشكره على كل ما كان منه إليك .. ولتعلم أن كل هذا قد مر على من نحتفل بمولده هذه الأيام .. والخلاصة : كيف تفكر في كل هذا والمفترض أن لا تنشغل بشيء غير نبينا سَيد الأنام .. فهل فهمتَ يا إنسان ؟ قلت : نعم يا ربيع الخير ، فهمتُ .. وتعلمتُ منك الليلة أحسنَ الكلام ..
صلى الله عليه وآله وسلم

(٥) يا ربيع الخير :

مُنْذُ دَخلتَ علينا يا ربيعَ الخير ونفحاتُكَ ظاهرة .. وكُلَّما شَمَمْتُ عَبيرَكَ أَجِدُ نَفْسي ساكنة .. سألتُ وقلتُ : يا ربيعُ ، ما هذا الجمالُ والراحةُ والطمأنينة ؟ فأجابني متواضعًا : هل تَظُنُّ أنَّ كُلَّ ذلك مِنِّي ؟ إِذَنْ فأنتَ لم تَعْرِف الحَقيقة .. وسَأُعَرِّفُكَ ما لم تُدْرِكْهُ بالبَصيرة .. يا إنسان ، أنا قد آتِي في أيِّ فَصْلٍ مِن فُصُولِ العَام .. ولكنَّ عِطْرِي دائمًا يُصَاحِبُنِي .. وسَكِينَتي حيثما كنتُ مَعِي .. أتدري لماذا ؟ لأنها ليستْ مِن عِندي .. وإنما هي ببركةِ أنوارِ سَيِّدِي .. ذلك الذي شَرَّفَنِي .. بأنْ وُلِدَ في شَهْرِي .. أعرفتَهُ يا إنسان ؟ إنَّه نورُ الوجودِ (مُحَمَّدٌ) الهَادِي .. فَهَيَّا إلى تَحِيَّتِهِ بما جاءَ في أَمْرِ رَبِّي : (صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) ..
صلى الله عليه وآله وسلم

(٦) يا ربيع الخير:

كنتُ جالسًا وَحْدِي .. فجاءني مَن يَقولُ لي : إنَّ الاحتفالَ بالمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ بِدْعَة ؟! فتعجبتُ كيف سَمَحَ لِنَفْسِهِ أنْ يَجْمَعُ بَينَ كلمة (بدعة) ولفظة (النبوي) الشريفة ؟! وقلتُ: أنا لَنْ أَرُدَّ عليك .. بل سأترك ربيعَ الخيرِ يُجِيبُكَ .. فقال ربيع : أَلَمْ يَعْلَمْ هذا المعترضُ بأنَّ هناكَ مَن يَحْتَفِلُ بسيدنا النبيِّ قَبْلَ مَولدِهِ وبَعْدَهُ إلى أَبَدِ الآبَادِ ؟! وإنْ سألَكَ : ما الدليلُ على ذلك ؟ قُلْ له : أَلَمْ تَقرأْ وتَتَدَبَّرْ قَولَ ربِّك (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ) .. فاللهُ والملائكةُ يَذكرونَهُ .. فقلتُ لربيع : لَيْتَهُم يعرفونَ قَوْلَكَ ويَشْعُرونَ بِكَ ويفهمونك .. ثم انْصَرَفْتُ وقُلتُ : شكرًا لَكَ .. يا ربيع الخير ..



وسأَظَلُّ أُرَدِّدُ مع المُحِبينَ :
صلى الله عليه وآله وسلَّم

وختامًا لا يسعني إلا أن أتنفس بتلك الأبيات النابضة بالحب، في حَق الجناب النبوي صلى الله عليه وآله وسلم، وهي:

وَاللهِ ما طَلَعَت شَمسٌ وَلا غَرُبَت
إِلّا وَحُبُّكَ مَقرونٌ بِأَنفاسي

وَلا ذَكَرتُكَ مَحزونًا وَلا فَرِحًا
إِلّا وَأَنت بِقَلبي بَينَ وَسواسي

وَلا جَلستُ إِلى قَومٍ أُحَدِّثُهُم
إِلّا وَأَنتَ حَديثي بَينَ جُلّاسي

وَلا هَمَمتُ بِشُربِ الماءِ مِن عَطَشٍ
إِلّا رَأَيتُ خَيالًا مِنكَ في الكَأسِ

وَلَو قَدَرتُ عَلى الإِتيانِ جِئتُكُم
سَعيًا عَلى الوَجهِ أَو مَشيًا عَلى الرَأسِ

اللهم صلِّ وسلِّمْ وبارِكْ على سيدنا النبيِّ ، سيدنا محمدٍ حبيبي (اللي مالوش زَيّ)، صلاةً ما انتهت إلا بدأتْ، وعلى آله وصحبه وسلِّمْ تسليمًا كثيرا.



بسم الله الهادي إلى الصراط المستقيم، والحمد لله الَّذي أنارَ لعبادهِ مَعالم الطريق الموصل لمرضاتهِ والوصول إلى معرفته والأنس بوصله وقربه والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم خير منْ دلَّ العباد وهداهم لقطع ظلمات النفوس ومحو أمراض القلوب التي تمنعهم من الوصول لمعارج القرب ومعرفة علام الغيوب، أنصحُ الخلق للخلق والدَّال على الحقِّ في سكناته وحركاته وصمته وكلامه وهديه وهدايته وجهاده واجتهاده، أما بعد:

فإن ما يقطع الإنسان عن الوصول لمولاه الذي خلقه وسواه وهداه واجتباه يمكن إجماله في ثلاثة أسباب:

١- نفسانية شهوانية.
٢- أهواء لتحقيق رغبات.
٣- ثالثها شيطانية بتزيين المعاصي وإشعال الشهوات لتحقيق الملذات التي يعقبها الندم والحسرات.

ونبدأ بأوّلها وهى النفس وما غرس فيها من شهوات؛ لتحصيل اللذة العاجلة بأي وسيلة وبكل حيلة، ولذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَٰتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالقَنَٰطِيرِ المُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ

﴿وَالفِضَّةِ وَالخَيلِ المُسَوَّمَةِ وَالأَنعٰمِ وَالحَرثِ ذٰلِكَ مَتٰعُ الحَيوٰةِ الدُّنيا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسنُ المَـٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤].

وهذه الشهوات إنْ لم تحصل على مُقتضى الوحي الشريف وسنة الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم، تُهلك صاحبها وتميت فيه كل وازع للخير وللهداية، فشهوة البطن لا بدَّ وأن تكون بأكل الحلال بالرزق الحلال والبعد عن الشبهات، ثم إذا أكلت فلا تشبع ولا تأكل إلا إذا جعت، ولا تأكل ما تشتهي كلما اشتهيت، بل اقنع بالموجود المتيسر من الطعام والشراب ولا تطلب المفقود ، فالحبيب صلى الله عليه وآله وسلم أكل الخبز بالخل، وقال: «نعم الإدام الخل»؛ لأنه كان هو الموجود ولم يتكلف أن يطلب المفقود بذبح شاه أو جمل وكان يملك ذلك وقادر عليه، فالرضا بالموجود مع عدم طلب المفقود يَفطِم النَّفس عن إشباعها من المباح المحبوب لديها، لأنك لو أشبعتها من المباح تقوى فتطالبك بعد ذلك بالمكروه والمحرم وكذا في الملبس والمنكح والمسكن، تقنع بالمتاح المباح دون إسراف أو استشراف لزيادة عن الحاجة، فخير الرزق ما كان فيه الكفاية دون الزيادة، وكذا البعد عن الرغبة في جمع حطام الدنيا والتنافس فيها المفضي للخصومة والحسد والتباغض المُشغل عن الإقبال على الله تعالى بقلب فيه سكينة وخشوع، والإقلال من الكلام إلا فيما يعنيك كما قال الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، وقوله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» فكثرة الكلام تفضي إلى كثرة الخطأ والحاجة للاعتذار.

وقد تؤدي إلى الكذب والغيبة والنميمة وكلها قواطع ومهالك تهوي بصاحبها في سخط الله، مع الإقلال من التعارف على النَّاس إلا بقدر الحاجة والضرورة؛ لأن الانشغال بالناس والاستئناس بهم من علامة الإفلاس، كما قال سيدنا علي رضي الله عنه وأرضاه.

ومعلوم أن من عيوب النفس حب الظهور والشهرة لطلب المدح والتعالي على الناس بنعم الله عليك، وعلاج ذلك بالتواضع للخلق و التغافل عن عيوبهم والتماس العذر لهم مع النصح وحب الخير لهم، وتجنب أذيتهم وأذاهم، كما أن النفس بطبيعتها كسولة، ويعين على الكسل كثرة الطعام والشراب والنوم، فليعتدل في ذلك كله حتى يهم ويهب لعبادة الله وقضاء ما طلبه منه تجاه الخلق والحق.

وعليه أيضا أن لا يؤجل ما طُلب منه وتسويف ذلك بتذكر الموت الذي قد يأتي فجأة، وقد تتغير النية أو تأتي مشاغل من المستقبل تحول بينك وبين فعل ما أجلته، ولذلك لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد. وبادر بالصلاة في أول وقتها، وكذا كل ما طلب منك، وقاوم الملل الذي يُعد أيضاً من قواطع الطريق.

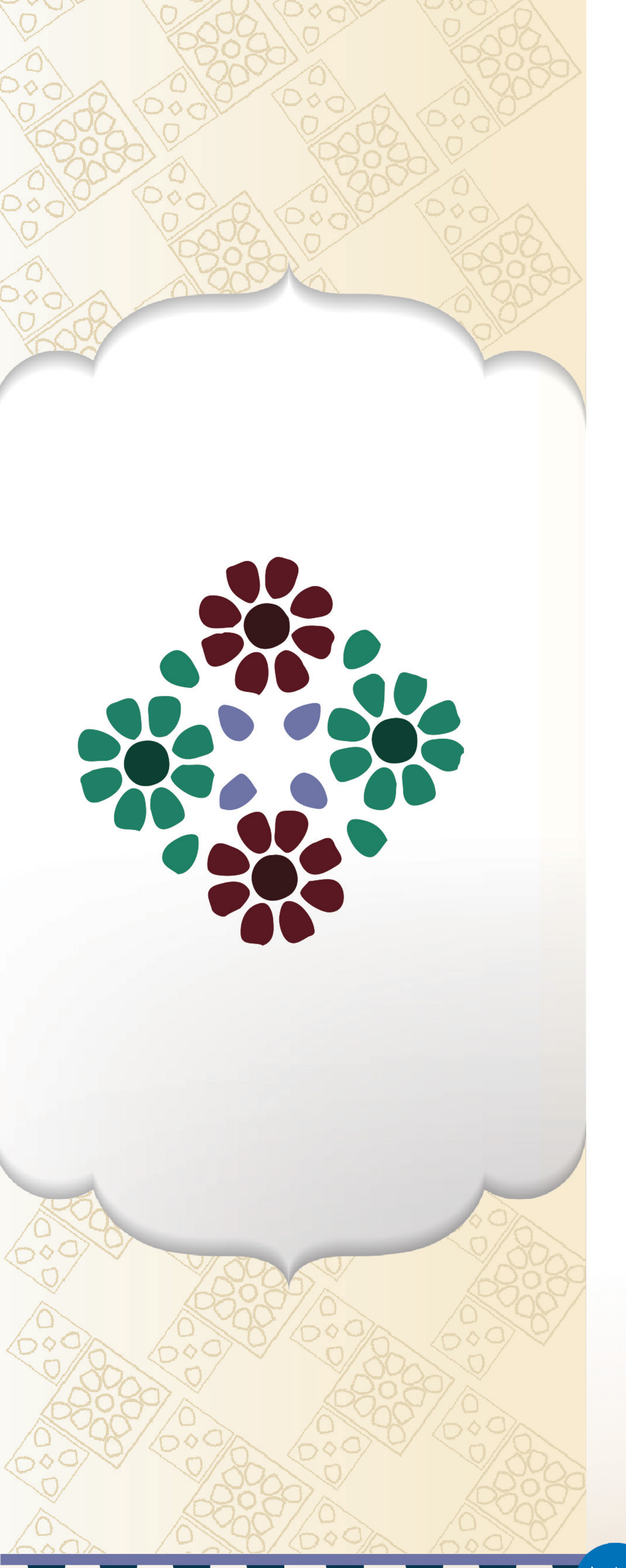
داوم على العمل بمخالفة النفس ومجاهدتها، فإن أحب الأعمال عند الله أدومها وإن قلّ، وما يُعينك على المداومة أن لا تكلف نفسك فوق طاقتها بل كما قال الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم: «فليعبد ربكم أحدكم نشاطه»، وقوله: «اكلفوا من الأعمال ما تطيقون فإن أحب الأعمال عند الله أدومها وإن قَل».

وكذا يجب عليك إن وقعت معصية ألا تكررها كثيراً لأن ذلك يجعلك تعتادها، واعتيادها يؤدي إلى إدمانها مما يصعب عليك الإقلاع عنها، ولذلك بقول وحقها يقول سبحانه وتعالى: «إِنَّمَا التَّوبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذينَ يَعمَلونَ السّوءَ بِجَهٰلَةٍ ثُمَّ يَتوبونَ مِن قَريبٍ فَأُولٰئِكَ يَتوبُ اللَّهُ عَلَيهِم وَكانَ اللَّهُ عَليمًا حَكيمًا» [النساء:١٧] ويعين على ذلك كله: الخوف من الجليل والرضا بالقليل والعمل بالتنزيل والاستعداد ليوم الرحيل، كما أوصى بذلك سيدنا على رضي الله عنه وكرم الله وجهه لتحقيق تقوى الله.

أما القاطع الثاني، فهو الهوى، وفيه تميل إليه النفس لتحصيل شهوة خفية فتلتمس من أجله الأعذار وتضل عن رؤية الحق، فالهوى حجاب للعقل عن رؤية الحق وهذا يوقع في ضلال مبين. ولا يُتجنَّبُ الهوى إلا بمعرفة ما خَفِي في النَّفس مِنَ التلبيس والتسويغ، الذي يزينه الهوى لتحقيق مصالح النفس العاجلة، فترى الباطل حقًّا وتلتبس عليها المفاهيم وتشتبه عليها الطرق، قال الله تعالى مُحذراً من ذلك:

﴿ أَفَرَءَيتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلىٰ عِلمٍ وَخَتَمَ عَلىٰ سَمعِهِ وَقَلبِهِ وَجَعَلَ عَلىٰ بَصَرِهِ غِشٰوَةً فَمَن يَهديهِ مِن بَعدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرونَ﴾ [الجاثية:٢٣]، والهوى ميدان النفس لتحقيق شهواتها الخفية بطرق ملتوية، فيطوع الحق على رغبته فيزيغ عنه بالكلية كما قال تعالى: ﴿وَلا تَتَّبِعِ الهَوىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبيلِ اللَّهِ﴾[ص:٢٦]. وللتخلص من رعونات النفس ومضلات الهوى لابد من صحبة شيخ مربي وارث محمدي يأخذ بيدك من ظلمات نفسك إلى أنوار هداية ربك.

وأما القاطع الثالث والأخير فهو أضعفها، ألا وهو الشيطان: ﴿إِنَّ كَيدَ الشَّيطٰنِ كانَ ضَعيفًا﴾ [النساء:٧٦]؛ لأنه ليس له علينا سلطان بل غاية ما يفعله أن يسول للنفس هواها ويزين لها المعصية لتحصيل اللذة العاجلة وعلاجة بالذكر والمراقبة وصحبة أهل الصلاح كما قال سبحانه وتعالى ﴿وَاتَّبِع سَبيلَ مَن أَنابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان:١٥] وقول الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»، وسلاح الشيطان ومدخله في قلب الإنسان يقوى بالغفلة والفراغ، ولذا داوم الذكر واشغل فَراغك بالطَّاعة والقيام بالواجبات والسنن والأوراد والعبادات ولا تجعل لك أي فراغ يُسّول لك فيه الشيطان الوقوع في المعاصي فيقول سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿فَإِذا فَرَغتَ فَانصَب﴾ [الشرح:٧] ، ومما يعينك على التغلب على هذه العقبات



التعلق والتخلق بالحبيب الأعظم أُسوة المُؤْمِنين وإمام المتقين سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ بمطالعة سيرته وشمائله وقراءة أخباره وسننه وأيامه مع كثرة الصلاة عليه، وتحصيل العلم الشرعي الذي تُصلح به عبادتك مع مراعاة الآداب ومحاسن الأخلاق وبر الوالدين وصلة الأرحام، والنصح للمسلمين وإتقان ما أقامك الله فيه، مع التسامح والتعاون على البر والتقوى وكظم الغيظ وعدم إنفاذ الغضب وإزالة كل شبهه في قلبك تجاه ربك ونبيك وشرعه القويم، والبعد عن سوء الظن بالمسلمين أو تتبع عوراتهم وأن تكف يدك ولسانك عن أموالهم وأبدانهم وأعراضهم والله الموفق.



الحمد لله الذي جعل الطريق إليه عليه نورٌ، والصلاة والسلام على أصلِ الطرقِ إلى الله؛ سيدنا محمد رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ورضي الله عن صحابته الأكارم الذين حملوا لنا ما تعلَّموه من سيد الخلق صلوات الله عليه وعلى آله، وتناقل كل أهل جيلٍ ما ورثه الجيل الأول من النُّور، حتى وصل لنا نورٌ عظيمٌ على يد نور الدين والدنيا سيدي الإمام علي جمعة شيخ طريقتنا العليّةِ الصِّدِّيقيّة الشَّاذليَّة، فعرفنا به قدر الشَّاذليَّة، وعرفنا به عيانًا ما كنَّا نسمعه ونقرأه عن أكابرها من خصائص ميزهم مولاهم بها.

وهذه الخصائص التي أتلوها ليست منقولة من كتاب، وإن كان قد ألَّف فيها وتناولها علماء أكابر، بل أُدوِّنها مشاهدةً من واقع عايشته ورأيته من شيخ الشيوخ شيخ طريقتنا العليَّة، ومريديها المنسوبين إليها، وبقيَّة منسوبي الشَّاذليَّة رضي الله عن صاحبها سيدي الإمام أبي الحسن علي بن عبد الجبار، الذي جبر به الجبَّار قلوب عبادٍ تعثَّروا من صعوبة السير في الطريق، فأخذ بأيديهم وأدخلهم حضرة القدس؛ فرأوا ما لا عين رأت، وسمعوا ما لا أذن سمعت، وتغيَّر حالهم بما لم يخطر ببالهم، مما يُنبِئ بخصوصيَّة طريقه وتميزه بما فتح الله عليه، فهذه الخصائص التي انفرد بها طريق إمامنا الشَّاذلي الفرد تجدها على صفحات أحوال مريديه، وتراها في نِتاج سيرهم في طريق الشَّاذليَّة التي رفع الله رايتها، وأدام مدَّتها، وكثَّر منسوبيها الرافلون في مباهج خصائصها، حتى أنَّك إذا رأيتهم تعرفهم بسيماهم: «لين في قوةٍ، وسهولة في حزمٍ وجِدٍ من غير كدٍ، وذكر بلا حد»، فالشَّاذليَّة دُرةٌ في تاج أهل الله، خصائصهم في الكون منشورة، وليست سطورًا في الكتب مهجورة، لذلك في هذه السلسلة (خَصَائِصُ الشَّاذُليَّة) سنرى ما أباحه واقعهم ورآه النَّاظر لهم في ساحتهم البهيَّة وحضرتهم غير المحظورة، وهذه سِمَةُ خصائصهم كلها، فهي واقعيَّة



ملحوظة، يجدها السالك في طريقهم موجودة، وهذه صفة أقوى أدلة الإثبات؛ وهو «الواقع» -الذي يعجز المُنكِر عن إنكاره-، فإنَّ الأدلة عقليَّة، ونقليَّة، وإلهاميَّة، وواقعيَّة، فأقدسها النَّقليَّة والإلهاميَّة؛ لتعلُّقها بالوحي الشريف عن الربِّ المجيد، لكن ينازع في إثبات ما جاء عن طريقه من لم يُسلِّم للوحي، والعقل أضعف الأدلة لأنَّ أوجهه ستٌّ فما أدركتَ منه نقضه غيرك بوجهٍ لم تَرَهُ، فلم يبقَ إلَّا الحُجَّة الدامغة؛ وهي الواقع الذي لا ينكره إلّا مكابرٌ جاحدٌ أو فاقدٌ عقله مجنون، ومن جنس أدلة الواقع (معجزات الأنبياء) عليهم السلام؛ فهي واقعٌ يشاهده النَّاس فينقاد له المؤمن وينكره الجاحد المكابر بعد أن رآه﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤]، ولأنَّ الواقع المشاهد الملموس المحسوس المعيش دليل لا يرده أحدٌ جعل الله معجزات أنبيائه من جنسه، وهنا بيت القصيد؛ فخَصَائصُ الشَّاذُليَّة ليست كلمات نمدحهم بها بل واقع مشاهد محسوس ملموس لكل ذي عينٍ وعقلٍ ولبٍّ وتجربة. ونبدأ المسيرة مع (خَصَائصُ الشَّاذُليَّة) فى مقالة العدد القادم بما شاهدنا وجربنا لا بما سمعنا وقرأنا.



علمُ التجلي علومٌ كَمْ أشرتُ لها
وهي الشهودُ بعينِ القلبِ لا البصَرِ
ولا شهود بغير النورِ تدركهُ
بالنورِ منكَ كما قد جاء في الخبَرِ
وظُلمةُ الغيبِ نورٌ ليس ينكشِفُ
إلا بما قلتُ فانظرْ فيهِ واعتبرِ
عِلمُ التجلي دقيقٌ لا يُشاكِلهُ
عِلمٌ فتُدركهُ بالظَّنِ والفِكَرِ
فلا تسل عنه لا ينبيك مُدَّكِرُ
إلا على النورِ والأنوارِ والأثَرِ

التجلي لغةً الظهور، وهو في اصطلاح القوم عبارة عمَّا ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب، هكذا قاله الشيخ الأكبر رضي الله عنه، فالتجلي إذًا ظهورٌ لِما غاب عن غير أصحاب القلوب والبصائر، وحصول التجلي في ثلاث:

الأول: مُتجلَّى له وهو المُشاهِدُ.

والثاني: ومجلى وهو المحَلُّ.

والثالث: مُتجلِّي وهو الغيبُ المُعَيَّنُ.

وهو على مراتبٍ؛ أعني ما يتجلى للمُشاهد من الغيوب متى سلمت عين بصيرته من العلل المانعة من الشهود كالعمى والرمد للعين، والصدأ والران وغير ذلك من حُجُبِ القلوب. واعلم أن الله قد جعل لكلِّ شيءٍ نورًا وإن خفت الأنوار، كما هو الحال في الأجسام الكثيفة، فيسميها من لم ير فيها نورَ الوجودِ

أجسامًا مُظلمةً، ولا يشعر أنه قد عَمِي عن إدراك ذلك النور ولم يلمح أنوار أرواحها أيضًا، وكذلك تَخفى عن أكثر الخلق الملائكةِ والأرواحِ ذوات الصور النورانية اللطيفة، وكذا الذوات النارية تخفى مع كونها عنصرية الصورة، ومن الناس من يخفى عنه نوره، ومن هنا ينكر حصول التجلي.

وكما أن الأجسام الكثيفةَ لا تُرى إلا بتقابل نورين: نور عين الناظر، ونورها المنعكس بالخاصيةِ، كذلك الحال في جلاء الغيوبِ، لا يحصل إلا بسلامة عين بصيرة القلب الـمُتَّقِدُ نورها، وإشراق نور الغيب المعين متى تجلَّى، وهو على مراتبٍ كما أشَرْتُ من قبل، وأبيِّنه لِما تسبقُ إليه بعض الأوهام من أنَّ قصد العارف بالتجلي إنما هو تجلي الحق تعالى، فيحصر صاحب الوهم مقاصد العارفين متى تكلموا عما تجلى لهم، فيما سبق إليه وهمه، فلا يري ما أشاروا إليه مما يصح أن يُحمل على ما ينبغي للحق تعالى وتقدَّس، فيلقي عليهم التُهم لجهله بمراتب التجلي، وما علِمَ حقيقة ما تكلموا فيه مما تجلى لهم من أنوار الغيوب.

ثُمَّ نرجع إلى الأنوارِ التي وعدنا بتبينها مما نص عليه الشيخ الأكبر في الفتوحات، وهي على سبع مراتب:

أنوار المعاني المجردة عن المواد، وتسمى أنوار المعارف والأسرار، وهي مما لا يُتصور في الخيال، لكونه ليس له صورة أصلًا، وتجليه عبارة عن أن يعقله المكتشف بلا لَبسٍ، ولا يعقله إلا من ورث حظًا وافرًا من قول رسول الله ﷺ: «اللهم اجعلني نورا».

ومن الأنوارِ أنوار السُبُحات، وهي الأنوار الكاشفة لأعيان الممكنات، فتفنى شخوص الممكنات وتتجلى أعيانها الثابتة، ولا يصح هذا التجلي إلا لأهل التمكين من أصحاب المشاهدة والوجود، وهم الخلفاء والله أعلم.

ومنها أنوار الأرواح من الملائكةِ والرسلِ والعقول المفارقة، وهذه الأنوار المتنزلة من حقيقة الحقائق تتلقى أشعتها قلوبُ العارفين فيتجلى لهم ما شاء الله تعالى من العلم المضنون به على غير أهله.

ومنها ما اصطلحوا على تسميته بأنوارِ الرياح، وهي الأنوار العنصرية التي ما خفيت إلا لشدة ظهورها، ومنها أنوار الطبيعة وتكشف لصاحبها ما تعطيه الطبيعة من الصور في الهباء وهو الهيولى، وفي الجسم الكلي الذي هو جسم العالَم، وهذا التجلي لا يحصل لأي أحدٍ على الكمالِ كما قال رضي الله عنه، لكونها إذا حصلت للعارف على كمالها تعلَّقَ علمُه بما لا يتناهى، وهذا محال.

ومن الأنوار أنوار الأسماء الحقية والخلقية، فكما أن الاسم يدل على مسماه، فكذلك أنوار الاسم تكشف للمشاهد حقيقة المسمى، وهذا العلم لسيدنا آدم عليه السلام.

ثم إن العارف له من هذه الأنوار أنوارٌ يسعى بها لا يسع المقام لتفصيلها، وإنما بينت ما يفتح للطالب أبواب معرفة التجلي، فمن أراد الله به خيرًا وفقه للعمل بما علم، وأورثه علم ما لم يكن يعلم، والله يقول الحق ويهدي إلى سواء السبيل.



أبانَ مولِدُهُ عن طِيبِ عُنصرِهِ

يا طِيبَ مُبتَدإٍ منه ومُختَتَمِ

٦

أهمية الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم للسائر إلى الله

عبد الله الرشيد

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمَّان الأكملان، على عين نعمة الله، سيِّد الأولين والآخرين، سيدنا محمد رسول الله وآله وعترته الأطهار وأصحابه أجمعين النجوم العدول الكرام والتَّابعين لهم بإحسان إلى يوم الدِّين وبعد ...

إن فضل وفوائد وبركات الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم معلومة من الأحاديث والآثار وحصل البيان فيها كما هو معلوم و قد كتب وأُلِّفَ فيها الكثير، فلماذا يؤكد على المريد و السائر إلى الله بمزيد الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟؛ لأمور يؤكد عليها مشايخنا رضي الله عنهم لا بد يدركها البعض، منها:

الأول: أن السير بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصل وأساس في كل طرق ومعارج الارتقاء ومناهج السير إلى الله كلها، ولا يخل ورد ولا طريق منها، والإ فهو غير مكتمل محدود يكون معه المشقة غالباً، وأيضا لا يسلم من لا يستصحبها، من القواطع والأحوال والثقل وغيرها وقد لا يصل ولا يرى ما يدله إلا بعد كد طويل وتحمل وهو مع هذا يكون في أشد الاحتياج لصحيح الدليل وسلامة المنهج وللمرشد والمربِّ الكامل للوصول، لذلك الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي عين المشارب والمناهج للاستمداد والنور والترقي، لأنها قائمة بنفسها مكملة متممة لغيرها، فالسلوك والسير بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحده سير في جميع مناهج السير، لأنها متضمنة مقتضى جميع معاني الإيمان فالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، متضمنة لمعنى شهادة أن محمد رسول الله والتصديق به، وهي تتضمن تصديقه في كل ما أخبر وطاعته في كل ما أمر ومقتضاها متضمن لمعنى وحقيقة لا إله الا الله ومقتضى ذلك كله

متضمن لجميع أركان الإيمان، لذلك اتفق أهل الدين والهدى أنها تقوم مقام شيخ التربية إذا كانت على الوجه الأكمل، في حال فقده وكتب وأشار أهل العلم في الإرشاد إليها لهذا المعنى: هداية ربي عند فقد المربي؛ بالصلاة على النبي ﷺ وأنها شيخ من لا شيخ له فمن لزمها وأكثر منها وجد بإذن الله الهداية وتمكين الحقيقة والمدد واستكمال الاستعداد والتأهل للفهم والإدراك الأعمق لتلقي العلوم والمعارف والحقائق ووفقه الله لمن يأخذ بيده من أهل زمانه فهي من أقرب الطرق المقربة المأمونة وأيسرها للوصول إلى الله.

الثاني: لأن المريد و السائر إلى الله في الغالب في أول سيره، لغلبة الأغيار يكون عنده ضعف إدراك معنى العبودية وحُسنِ التوجه والقصد، فليس استعداده في تمام الحضور والإخلاص لله الذين بهما يجد السائر تمام الثمرة والمعرفة والمحبة والأدب مع الله، لذلك ينصح ويوصى بكثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى يكمل استعداده، فهي مقبولة لا ترد وذكر عن الأئمة الأربعة أنها مقبولة ولو نفاقا.

وقال الفاسي في شرح الدلائل: قال الشيخ أبو إسحاق الشاطبي في شرح الألفية: الصلاة على رسول الله ﷺ مجابة على القطع، فإذا اقترن بها السؤال شفعت بفضل الله تعالى فيه فقبل، وهذا المعنى مذكور عن بعض السلف الصالح. واستشكل كلامه هذا الشيخ السنوسي وغيره، ولم يجدوا له مستندا وقالوا: وإن لم يكن له قطع فلا مرية في غلبة الظن وقوة الرجاء ا هـ.

وذكر في الفصل الأول من دلائل الخيرات: قال أبو سليمان الداراني: من أراد أن يسأل الله حاجته فليكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم يسأل الله حاجته، وليختم بالصلاة على النبي ﷺ، فإن الله يقبل الصلاتين، وهو أكرم من أن يدع ما بينهما ا هـ.

قال الفاسي في شرحه: ومن تمام كلام أبي سليمان عند بعضهم: وكل الأعمال فيها المقبول والمردود إلا الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنها مقبولة غير مردودة. وروى الباجي عن ابن عباس: إذا دعوت الله عز وجل فاجعل في دعائك الصلاة على النبي ﷺ فإن الصلاة عليه مقبولة، والله سبحانه أكرم من أن يقبل بعضا ويرد بعضا، ثم ذكر نحوه عن الشيخ أبي طالب المكي وحجة الإسلام الغزالي. وقال العراقي: لم أجده مرفوعا، وإنما هو موقوف على أبي الدرداء. ومن أراد الزيادة على ذلك فليرجع إلى شرح الدلائل. والذي يظهر من ذلك أن المراد بقبولها قطعا أنها لا ترد أصلا مع أن كلمة الشهادة قد ترد فلذا استشكله السنوسي وغيره. والذي ينبغي حمل كلام السلف عليه أنه لما كانت الصلاة دعاء، والدعاء منه المقبول ومنه المردود، وأن الله تعالى

قد يجيب السائل بعين ما دعاه وقد يجيبه بغيره لمقتضى حكمته خرجت الصلاة من عموم الدعاء، لأن الله تعالى قال: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ [الأحزاب: ٦٥]، بلفظ المضارع المفيد للاستمرار التجددي مع الافتتاح بالجملة الاسمية المفيدة للتوكيد، وابتدائها بأن لزيادة التوكيد، وهذا دليل على أنه سبحانه لا يزال مصليا على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم امتن سبحانه على عباده المؤمنين حيث أمرهم بالصلاة أيضا ليحصل لهم بذلك زيادة فضل وشرف، وإلا فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم مستغن بصلاة ربه سبحانه وتعالى عليه، فيكون دعاء المؤمن بطلب الصلاة من ربه تعالى مقبولا قطعا: أي مجابا لإخباره سبحانه وتعالى بأنه يصلي عليه. بخلاف سائر أنواع الدعاء وغيره من العبادات، وليس في هذا ما يقتضي أن المؤمن من يثاب عليها أو لا يثاب، بل معناه أن هذا الطلب والدعاء مقبول غير مردود. وأما الثواب فهو مشروط بعدم العوارض كما قدمناه، فعلم أنه لا إشكال في كلام السلف، وأن له سندا قويا وهو: إخباره تعالى الذي لا ريب فيه، فاغتنم هذا التحرير العظيم الذي هو من فيض الفتاح العليم.[١]

الثالث: لأن الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أعظم الوسائل الموصلة التي تورث المعرفة بسيدنا محمد رسول الله ﷺ التي هي الباب والمدخل لمعرفة الله سبحانه وتعالى وهو عين المراد والغاية والمقصود الأعظم، وأيضا فإن معرفة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تورث وتمكن محبته التي هي أصل أصول الدين الذي لا يتم الإيمان إلا به كما هو معلوم مثبتُ من كلامه عليه الصلاة والسلام في الأحاديث الصحيحة وإجماع المسلمين.

والناس والسائرون في معرفته عليه الصلاة والسلام الذي هو من أعطم المطالب وإدراك الحقيقة المحمدية على مراتب ومقامات تتفاوت يفوق بعضها البعض، كل على حسب استعداده وقربه وحظه من توفيق الله له لهذا الباب العظيم، فمن الناس من لم يعرف نبيه إلا باللفظ ومنهم من عرفه بالصفات والشمائل والمواقف، ومنهم من عرفه بالذات ولايدرك ولا يتصور هذا إلا مع السير إلى الله شهوداً وذوقا. ومن أعظم ما يوصلك إلى هذا بأيسر السبل كثرة الصلاة والسلام على سيدنا محمد، فببركتها وأمدادها وأنوارها تحصل المعرفة ويكمل استعدادك وتورث وترزق المحبة للحبيب الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، الجالبة لكل فتح وعطاء واقتداء واستقامة ويقين وكل خير من أمر الدين والدنيا.

قال ابن القيم: فإذا رُزِق العبدُ محبةَ الرسول ﷺ،واستولت روحانيته على قلبه، جعله إمامَه ومعلمَه وأستاذَه وشيخه وقدوته، كما جعله الله نبيَه ورسولَه وهادياً إليه، فيطالع سيرته ومبادئ أمره وكيفية نزول الوحي عليه، ويعرف

(١) حاشية رد المحتار لابن عابدين، ج١، ص. ٥٦٠

صفاتَه وأخلاقَه وآدابَه، في حركاته وسكونه ويقظته ومنامه وعبادته ومعاشرته لأهله وأصحابه، حتى يصير كأنه معه من بعض أصحابه.ا هـ بتصرف[٢]، ولذلك فالإكثار من الصلاة عليه ﷺ يثمر تمكن محبته ﷺ من القلب، فالتخلق، فالتحقق، وهو مقصود الشريعة من إسلام وإيمان وإحسان.

الرابع: وإكثار المريد من الصلاة على النبي ﷺ هو السبيل المجرب للسائر إلى الله للخروج من الحيرة والشك وعدم التسليم التي ابتلي بها بعض الناس، التي تحول بين المريد والانتظام في الورد والذكر فببركتها تزول الشبهات المقلقة العميقة الخفية. لذلك نوصي بها كل من أدركته العناية والمحبة ودخل في طريق القوم واعتقاد أهل السنة والجماعة وخاصة ممن تحول من المسلمين عن منهج النابتة من التكفيرين وأشباههم، فقد ابتلوا بالارتياب والشك فلا ينتفعون من مربي ولا ورد في الغالب، وخاصة من تعلم من مشايخهم إلا بإذن الله، فقد وجد مشايخنا من أهل الطريق بإن علاج هذا وزواله وانتظام حال المريد هو بالإكثار والتركيز في أول سيره بالصلاة على النبي ﷺ.

ولأن إكثار المريدمن الصلاة والسلام على النبي ﷺ في أول أمره سبيل لقضاء الحوائج ودفع ما يهم من الأمور والأحوال وذلك أن المريد في أول سيرة تكون نفسه متعلقة بالدنيا وما يشغل من هم الأرزاق وخوف الخلائق، فينصح المريد بأن يضمر في خاطره مطلبه وحاجته رجاء في الله ويصلي على النبي ﷺ فتقضى بإذن الله، ومع الديمومة يزداد المريد يقيناً وسكينة وحسن توكل على الله، وحسن ظن به وكذلك قد يصيب المريد شيء من الأحول من مثل القبض والحرارة وأحوال الجلال فيصلي المريد على النبي ﷺ فتبرد ويرتاح أو يتزن حاله ويصفى.

ويكفي في ختام هذه الإشارة أن نذكرك بأن من بركتها التوفيق للعناية الإلهية وللشهود و الوصال والاتصال بسيدنا محمد ﷺ، وكما قال سيدي أحمد بن الصّاوي المالكي الخلوتي من ذاق لذة وصال المصطفى ذاق لذة وصال ربه، ومن فرق بين الوصالين لم يذق للمعرفة طعمًا. فداوم أيها السائر الي الله حتى تمتلئ نفسك وقلبك به وبصفاته ويصير خياله حاضرا معك بين عينين أينما تكون فإن الحب هو سيدنا محمد ﷺ ولا يعرف الإنسان طعمًا ولا معنى للحياة على الحقيقة إلا بالحب، وأقول مثل ما قال سيدي ابن الفارض:

فإن شئتَ أن تحيا سعيداً فمُتْ بِهِ
شهيداً وإلاّ فالغرامُ لهُ أهْل
فمن لم يمُتْ في حُبّه لم يَعِشْ به
ودون اجتناءِ النّحل ما جنتِ النّحل

فاللهم صل على حبيبك سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون وآله وسلم تسليما.

(٢) مدارج السالكين

٧ النور المحمدي وأثره المعنوي والمادي

خالد محمد غز



بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله على حضرته وآله وسلم. نور رسول الله ﷺ له أثر حسي مادي فضلاً على أثره المعنوي الروحي، وآثار ذلك النور ممتدة وموجودة حتى يومنا هذا وإلى ما شاء الله تعالى، وذلك النور الفريد المميز الذي لا يوجد له شبيه له من الآثار المادية على الكون كله ظهر عياناً بياناً وأثبتته الروايات رغم أنف من أنكر أو استبعد، وتلك الآثار منطبعة إلى يومنا هذا على الكائنات التي صادفها حظها السعيد والتصقت بالحبيب أو تعرضت لنوره الباهر، فمنها من كان من عالم النبات ومنها من كان من عالم الجماد.

وشجرة البقيعاوية بالأردن خير شاهد ودليل وهي لا تزال موجودة وباقية إلى زماننا منذ مر بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجلس في ظلها الوافر فتأثرت بنوره الغامر فبقيت مورقة إلى الآن ببركة ذلك النور وذلك بسبب امتصاص أوراقها للنور المحمدي واندماج أثر ذلك النور في تكوينها المادي أثناء جلوس حضرته في ظلها.

نور الحبيب المصطفى ﷺ من واقع الكتاب والسنة

نور الحبيب المصطفى ﷺ من واقع الكتاب والسنة

نور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أثبته المولى عز وجل في كتابه العزيز في عدة مواقع نورد منها موقعين مباركين يقول المولى تعالى في أحدهما:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة:١٥]

وقد ورد القول في تأويل قوله عز ذكره: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾، قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه لهؤلاء الذين خاطبهم من أهل الكتاب « قد جاءكم »، يا أهل التوراة والإنجيل «من الله نور»، يعني بالنور، محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم الذي أنار الله به الحقَّ، وأظهر به الإسلام، ومحق به الشرك، فهو نور لمن استنار به يبيِّن الحق. ومن إنارته الحق، تبيينُه لليهود كثيرًا مما كانوا يخفون من الكتاب.

و يقول المولى تعالى في موضع آخر :

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦].

وقد ورد في العديد من التفاسير في هذه الآية ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ يقول: وضياء لخلقه يستضيء بالنور الذي أتيتهم به من عند الله عباده ﴿مُنِيرًا﴾ يقول: ضياء ينير لمن استضاء بضوئه، وعمل بما أمره، وإنما يعني بذلك: أنه يهدي به من اتبعه من أمته .

أما في السنة المشرفة فقد ورد العديد من الأحاديث الشريفة التي تثبت ذلك النور بل وتؤكد على أن ذلك النور له طبيعة حسية وليس معنوية فقط ومن قبيل ذلك ما ورد بالحديث الشريف الذي روته السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها :

فَقَدْ جَاءَ فِي كَنْزِ الْعُمَّالِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: اسْتَعْرتُ مِنْ حَفْصَةَ بِنْتِ رَوَاحَة إِبْرَةً كُنْتُ أَخِيطُ بِهَا ثَوْبَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَسَقَطَتْ عَنِّي الإِبْرَةُ، فَطَلَبْتُهَا فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهَا، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَتَبَيَّنَّتُ الإِبْرَةَ بِشُعَاعِ نُورِ وَجْهِهِ، فَضَحِكْتُ.

فَقَالَ: «يَا حُمَيْرَاءُ! لِمَ ضَحِكْتِ؟».

قُلْتُ: كَانَ كَيْتَ وَكَيْتَ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «يَا عَائِشَةُ، الوَيْلُ ثُمَّ الوَيْلُ لِمَنْ حُرِمَ النَّظَرَ إلى هَذَا الوَجْهِ، مَا مِنْ مُؤْمِنٍ وَلَا كَافِرٍ إِلَّا وَيَشْتَهِي أَنْ يَنْظُرَ إلى وَجْهِي» رواه الديلمي وابن عساكر.

نور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يظهر عياناً حين مولده:

«عن عثمانَ بنِ أبي العاصِ الثَّقفيّ عن أمِّهِ أنَّها حضرَت آمنةَ أمِّ النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فلمَّا ضربَها المخاضُ قالت فجعلتُ أنظرُ إلى النُّجومِ تدلَّى حتَّى أقولَ لتقعنَ عليَّ فلمَّا ولدَتْ خرجَ منْها نورٌ أضاءَ لَهُ البيتُ والدَّارُ» .

رأي شيخنا «فضيلة أ د. علي جمعة رضي الله عنه»:

وقد أكد العلماء على حقيقة وجود الخاصية الحسية لنور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونورد هنا رأي شيخنا فضيلة الشيخ الدكتور علي جمعة في سياق كتاب حضرته المسمى «البيان لما يشغل الأذهان» إذ يقول فضيلته في معرض رده على سؤال نصه:

هل النبي صلى الله عليه و سلم نور، و هل هذا يعارض بشريته صلى الله عليه وآله وسلم؟

فأجاب فضيلته : النبي صلى الله عليه وآله وسلم نور هذا صحيح قال تعالى :

﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم من الله نور و كتاب مبين﴾، وقال تعالى : ﴿وداعياً إلى الله بإذنه و سراجاً منيراً ﴾، فهو صلى الله عليه وآله وسلم نور ومنير، ولا شيء في أن تقول إن سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان نوراً طالما أن الله عز وجل قد وصفه بذلك وسماه نوراً، ولقد ثبت في السنة أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يقولون: «إن وجهه صلى الله عليه و سلم كالقمر»، وقد أخبر صلى الله عليه و سلم أنه عندما حملت فيه أمه: «رأت نوراً أضاء لها قصور بصرى من أرض الشام».

وقد أخبر أصحابه رضوان الله عليهم أن: «النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما دخل المدينة أضاء منها كل شيء، وعندما مات أظلم منها كل شيء». إلى غير ذلك من آثار وأحاديث تبين أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان نوراً، ولا ينبغي أن ننفي أن ذلك النور كان حسياً، فليس هناك ما يتعارض مع كونه كان منيراً وأنه صلى الله عليه وآله وسلم له نور حسي مع أصل العقيدة، كما أنه لا يعارض طبيعته البشرية التي أخبر بها القرآن .

إن المحظور هو نفي البشرية عنه صلى الله عليه وآله وسلم، لأن هذا مخالف لصريح القرآن فقد قال الله تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي﴾.

فالسلامة في ذلك أن نثبت كل ما أثبت الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، فنثبت أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان نوراً ومنيراً ولا يزال، وأنه بشر مثلنا، دون تفصيل وتنظير، وإثبات النور الحسي له صلى الله عليه وآله وسلم لا يتعارض مع كونه بشراً، فالقمر طبيعته صخرية، ومع ذلك هو نور وله نور حسي، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم خير من القمر، وخير من الخلق كلهم، نسأل الله أن يهدينا الطريق المستقيم، فهذا بيان لقضية نورانية النبي صلى الله عليه و سلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والله تعالى أعلى وأعلم.





حار أعداء التصوف فيه؛ فهم قد أنفقوا أموالا طائلة لصرف الناس عنه – ولا يزالون– ولم ينته في الأمة تعلق الناس بالتصوف وأهله؛ وقد راح هؤلاء الأعداء يروجون الكذبة تلو الكذبة عن التصوف حتى حق عليهم قول الله تعالى : ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٤].

وفي المقال السابق استعرضنا كيف أنهم روجوا كذبًا كون الصوفية هم أهل البطالة والكسل، وأن صحبتهم تفضي إلى ترك العمل، وقد بينا كذب هؤلاء المتطرفين، وأن حال الصوفية ومعارفهم وبرامجهم على العكس من ذلك؛ إذ هم أهل السعي في الدنيا لكسب الحلال وتعمير الأكوان، وفي شأن الآخرة هم أهل المجاهدة والإحسان.

فأما الكذبة التي نناقشها في هذا المقال فهي ما روجه هؤلاء المتطرفون عبر أدبياتهم ووسائل

إعلامهم خلال أكثر من نصف قرن أن التصوف منتحل ومنقول من عدد من الديانات والمذاهب الباطلة، يقول أحد هؤلاء المتطرفين : «ولا شك أن التصوف منهج نشأ قبل الإسلام فكرًا وسلوكًا وعقيدة، وأنه كان في كل الأمم والديانات وخاصة في البرهمية الهندوكية والفلسفة الإشراقية اليونانية والمجوسية الفارسية، وكذلك نشأت النصرانية»[1]

ويفتري آخر على التصوف فيقول: «إن التصوف أدنأ وألأم كيد ابتدعه الشيطان ليسخر معه عباد الله في حربه لله، ولرسله، إنه قناع المجوسي يتراءى بأنه رباني، بل قناع كل عدو صوفي، العداوة للدين الحق، فتش فيه تجد برهمية، وبوذية، وزرادشتية، ومانوية وديصانية، تجد أفلوطينية، وغنوصية، تجد يهودية ونصرانية، ووثنية جاهلية، تجد فيه كل ما ابتدعه الشيطان من كفر!»[2]

هذا الكلام المرسل والافتراء الواسع الذي لم يأت أحد من هؤلاء المتطرفين بدليل عليه راج لدى كثير من الكتاب والباحثين في التصوف، وتقرر على أنه أمر مقطوع به! وهو على العكس من ذلك: محض كذب ودعوى لم تثبت بحال من الأحوال، وفيما يلي بعض أدلة

(١) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبد الرحمن عبد الخالق صـ٤٣ ط.مكتبة ابن تيمية الكويت.

(٢) من مقدمة عبد الرحمن الوكيل لكتاب مصرع التصوف للبقاعي صـ:٨ ط.أنصار السنة. وعبد الرحمن الوكيل من أكابر مفتريهم؛ وقد كان رئيسا لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر وتمتلئ كتبه تكفيرا وطعنا في المسلمين وحربا على أولياء الله الصالحين، نسال الله العفو والعافية.

التصوف، وأنه نَسَق متفرد بين الأمم ليس له نظير في أي من الأديان السابقة أو الفلسفات اللاحقة.

وسنكتفي هنا بذكر دليلين أحدهما يتعلق بمرجعية التصوف والآخر يتعلق بمنهجية التصوف.

أولًا: دليل أصالة المرجع

إذا بحثنا عن أوائل ما كتب في التصوف من النصوص المنقولة أو الكتب المدونة، سنجد اتفاقًا فيما بينها على اعتماد نصوص الوحيين مرجعا ومصدرا لما يقدمونه للناس من أفكار ومعارف، وليس هناك كتاب واحد منها ينقل عن الديانات السابقة أو حتى ينقل عن أرسطو أو أفلاطون أو بوذا أو غيرهم من الفلاسفة وأصحاب المذاهب المختلفة.

ولعل مِن أقدم مَن كتب في التصوف من أئمته، ومن أقدم الكتابات الصوفية كتب الإمام الحارث المحاسبي رضي الله عنه الذي عاش في القرن الثاني الهجري وتوفي عام ٢٤٣ هـ ؛ ومن جملة كتبه كتاب «رسالة المسترشدين» الذي ذكر فيه عددا من الوصايا للمريدين والسالكين؛ فقال في أول الكتاب وفي مفتتحه: «فمن شرح الله صدرَه، ووصل التصديقُ إلى قلبه، ورغب في الوسيلة إليه، لزم منهاج ذوي الألباب برعاية حدود الشريعة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وما اجتمع عليه المهتدون من الأئمة»[3].

(٣) رسالة المسترشدين للإمام المحاسبي صـ ٣٦ ط.مكتب المطبوعات حلب، بتحقيق الشيخ أبو غدة

فهذا بيان من الإمام المحاسبي أن ما يرتضيه هو طريقًا ومنهاجًا لذوي الألباب: رعاية حدود الشريعة من الكتاب والسنة وما أجمعت عليه الأمة.

فهل بعد ذلك البيان من شك في كذب دعاوي المتطرفين، وتهافت مقالات المنحرفين، لكن لنزيد المسألة وضوحًا بنقل آخر من المراجع الأصيلة للتصوف؛ وهو الرسالة القشيرية للإمام المفسر المحدث اللغوي المتكلم أبي القاسم القشيري الذي عاش في القرن الخامس وتوفي سنة ٤٦٥هـ، وكتاب الرسالة للقشيري مرجع من مراجع التصوف المعتمدة والتي ينقل عنها كثيرون ممن جاء بعده.

وقد تعرض الإمام القشيري في كتابه هذا لمنازل السلوك إلى الله وبين كثير من مصطلحات التصوف وأبوابه، وكان يفتتح كل باب بآية أو حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو ما صار بعد ذلك سنة متبعة في كثير من كتب الصوفية حيث يُقَدَّم الدليل على المدلول غلقا للتوهم، ومنعا لداعية التقول، وبيانًا للمنهج الذي اعتمده أئمة الصوفية. إذن فليس في مراجع التصوف الأساسية أي اعتماد على غير نصوص الشرع الشريف.

ثانيا : دليل أصالة المنهج

المنهج هو الطريق الموصل للحقيقة، ويقصد به هنا في جانب التصوف الطريقة التي اعتمدها الصوفية للوصول إلى الله من سلوك وأحوال، وعندما نتأمل ذلك الجانب سنجد اتفاقا واتساقا مع معالم الشرع الشريف ومقاصده وأحكامه بشكل تام.

ولبيان ذلك نقول: ليس هناك طريقة واحدة من الطرق المشتهرة المعتمدة عند أئمة الصوفية كالشاذلية والرفاعية والقادرية والخلوتية والنقشبندية وغيرها إلا وهي تعتمد برنامجًا للمريدين يحتوي على ذكر الله المأخوذ من قول الله تعالى: ﴿ يأيها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]، ومجاهدة النفس بترك المحرمات وفعل الواجبات المأخوذة من قول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وعلى اختلاف مسالكهم ومشاربهم فلا يمكن لأي منتسب لهذه الطرق أن يدعي سقوط التكاليف والفرائض أو عدم احتياجه لمجاهدة نفسه وردع هواه.

ومن أوضح النصوص التي تدل على هذا المعنى وهو تواصي الصوفية بالعمل الصالح مع عدم الاتكال عليه ما قرره حجة الإسلام وإمام الصوفية في عصره أبو حامد الغزالي حيث قال: «من ظنّ أنه بدون الجهد يصل فهو متمّن، ومن ظنّ أنه يبذل الجهد يصل فهو مستغن»[٤]

فبان من كل ذلك أن كتب التصوف والسلوك قد امتلأت بما يشغل وقت المريد في طاعة مولاه ومجاهدة هواه بما لا مزيد عليه، وأن علم التصوف وسلوكه لا يمكن لأحد من أهل الإنصاف أن ينسبه إلا لما جاء به الشرع الشريف من هدي مبين ومنهاج قويم وصراط مستقيم، فالحمد لله رب العالمين.

---

(٤) رسالة أيها الولد للإمام أبي حامد الغزالي صـ٤ ط.ابن حزم



٩

التخلق بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

مصطفي حسني

facebook.com/MustafaHosny

من أصعب المشاعر التي يعيشها كثير من البشر هو شعور عدم الكفاية، أو بمعنى أدق أن يكون صغيرا حقيرا في عين نفسه لا يرى أنه كفؤ لإقامة بيت أو الاستمرار، في عمل أو حتى الحصول على احترام الناس له، حتى يتضخم هذا الشعور ويصل إلى إحساس الإنسان أنه لا يستحق أن يرحمه أو يقبله الله ... هذا الشعور الانهزامي كفيل بكسر الإنسان أمام أصغر تحديات الحياة.

الكبير صلى الله عليه وآله وسلم

لو تتبعت حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الشريفة لوجدت شيئا مكررا كان بالنسبة لصحابة رسول الله هو عين النعيم، فلن تجد إنسانا يتعامل مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلَّا ويشعر الإنسان تجاه نفسه أنه كبير وأنه محل للثقة و أنه مقبول محترم.

من أول نظرة الاحترام التي كانت تملأ عين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تجاه الجميع، حتى قال أحد الصحابة كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينظر إلينا جميعا في مجلسه حتى يظن كل أحد منا أنه أحب الناس إلى رسول الله.

ولما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هجرته من مكة إلى المدينة، وجد من بعيد اثنان من الرجال يقفان فسأل من هؤلاء؟ قيل : هما لصان يُقال عنهم المهانان فاقترب منهما صلى الله عليه وآله وسلم يدعوهم إلى الله، فقال: من أنتما؟ قالوا: نحن المهانان، قال: بل أنتما المكرمان ودعاهم إلى الله، فأسلما بعد أن رد إليهما إحساس القبول وأن الحياة تفتح ذراعيها لهم ليبدأوا بداية جديدة.

وها هو سيدنا عبد الله الذي كان يدمن الخمر ويؤتى به إلى رسول الله يقام عليه الحد كل فتره وجيزة وفي مرة جاء ليتوب من شرب الخمر، فلعنه أحد الصحابة بقوله: لعنك الله ما أكثر ما يؤتى بك مخمورا، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: لا تلعنه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله، فرد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللعنة وطمأن قلبه أنه صلى الله عليه وآله وسلم يرى ما في قلب هذا الصحابي من حب راسخ لله ورسوله، رغم ضعفه أمام هذا الذنب وكان هذا الموقف سبب في قوته وتوبته.

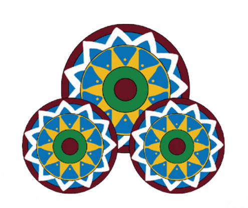
ولما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخيط ثوبا له يجلس

يجلس على أريكة وعائشة رضي الله عنها تجلس على الأرض تصنع شيئا في البيت، فلما رأت العرق ينزل من جبين رسول الله ﷺ كقطرات اللؤلؤ قالت لو رأى الشعراء جبينك يا رسول الله لنظموا فيه شعرا، فوضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم الثوب من يده وقبلها بين عينيها، وقال والله يا عائشة ما كافأتك مثل ما كافأتني، فكانه يقول لها هذه الكلمة سرت خاطري جدا، فلا أجد مكافأة لك على الفرحة التي أدخلتيها إلى قلبي.

حتى أن أبا سفيان ولم يكن وقتها مسلمًا في فتح مكة جاء إلى رسول الله ﷺ ليستعطفه بعد خيانة كفار قريش العهد، فإذا بسيدنا رسول الله ﷺ يراعي نفسية أبا سفيان، فيعطيه إحساس الزعامة وأن الناس في أمانه، والجملة المشهورة: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فكأن أبا سفيان رضي الله عنه هو الذي أنقذ أهل مكة من جيش رسول الله الكبير.

حتى صغار السن كان النبي ﷺ يملؤهم بإحساس الثقة وشرف المكانة، فلما كان عبد الله بن عباس صبيا صغيرا يجلس عن يمين رسول الله وكبار الصحابة يجلسون عن يساره وجيء بقدح فيه لبن، فشرب النبي ﷺ منه –وما أعظمها من بركة حلت على هذا القدح–، ثم أراد النبي ﷺ أن يعطي لجلسائه من اللبن فاستأذن أولا ممن يجلس عن يمينه وهو الصبي الصغير ابن عباس حتى يبدأ بالأشياخ الكبار الذين يجلسون عن اليسار، وكان المعروف بين الناس أن يبدا باليمين فاستأذنه أولًا فأبا سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما أن يعطي هذه البركة لأحد سواه وقال: بل أعطني يا رسول الله لأشرب بعدك، ونزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على قول الصغير لأنه من حقه ثم شرب الأشياخ بعده من على اليسار.

وهكذا كان صلى الله عليه وآله وسلم مع الكبير والصغير يشعرهم بقيمتهم وأنهم يستحقون التوقير والاحترام. وهذا الشعور الذي يسمى شعور الكفاية هو الوقود الذي يحتاجه البشر ليستمروا في رحلة الحياة ويقاوموا تحدياتها وهم يثقون في أنفسهم وقدراتهم وصدق من قال: الكبير على الحقيقة؛ من إذا تعاملت معه: شعرت أنك كبير.





صلاة المحبة

اللهّم صلّ على سيدنا محمد بقدر حُبِّك فيه

وزدني فيه يا مولاي حُبّاً فيه وبجاهِهِ عِندَكَ

فَرِّج عنِّي ما أنا فيه إلهي لا أسألُك ردَّ القضاء

بل أسألُك اللُّطفَ فيه

وعلى آله وصحبه وسلِّم



تبحث هٰذه الدراسة في مدىٰ الأثر الَّذي أحدثه الأزهرُ الشريفُ وعلماؤه الأجلَّاءُ في المجتمع مِن خلال زاوية مُهمة، وهِي العِناية والاهتمام بالآثار النبويَّة، وما يترتب علىٰ هٰذا الاهتمام من التعلق الرُّوحي بصاحبها صلى الله عليه وآله وسلم، ومِن ثَمَّ التأسِّي والاقتداءُ به والتمسكُ بسُنَّته الشَّريفة، وهُو الغاية المرجوَّة وبيت القصيد.

وقد سجَّل المؤرخونَ لنا فيما دبَّجتْه أقلامُهم عنايةَ العلماءِ وكبارِ حُفَّاظ الأمّة وعُمومِ النّاس بالآثارِ النبوية والتقرُّبَ إلىٰ الله بزيارتها في محلِّها لاسيما إذا ما ألمَّ بهم خطْبٌ جسيم، معَ الأخذ بالأسباب العلمية المتوفرة في زَمانهم، وقد اجتاحَ العالَمَ كلَّه في الفترة الماضية فيروس كُورونا، ودَعا بعضُ العلماءِ لإحياء سُنّة قراءة صحيح البخاريِّ لرفع الوباء، من غيْر أن تظهر دعوةٌ واحدةٌ بإعادة الاعتبار لهٰذه الآثار النبوية والاهتمام بها، إحياءً – أيضًا – لسُنّة سلفنا وعلمائنا الصَّالحين.

وتعرض هٰذه الورقةُ أطروحةً تفسّر سببَ ذٰلك، ثم تعرض بعضَ التوصيات والأعمَال لمعالجة القضيَّة؛ والأطروحةُ هي أنَّ عُلماءَ الأزهر الشرِيف يسلكُون في التعامل مع هٰذه الآثار النبوية مسلكَ التصديق وحُسن الظَّن فيها في مقابل فئة أخْرىٰ تحاوِل إخضاعَ الرِّواياتِ التاريخيةَ والآثارَ النبويةَ لِقواعِد النقْد الحَديثيِّ، ممَّا يترتب عليْه تكذيبُها وإساءَةُ الظن فيها، ومِن ثمَّ هجرُها وعَدم العناية بها، بل وطمسُها ما استطاع أتباع هٰذه الفئة إلىٰ ذٰلك سبيلًا.

وأمَّا الأعمال المقترحة لمعالجة القضية فهي

إظهارُ المنهج الأزهريّ والبرهنة علىٰ صحَّته وأنه منهجُ العلماءِ قديمًا وحديثًا الَّذي تلقته الأمةُ بالقبول، وذٰلك بتحقيق مصنفاتهم ومؤلفاتهم، وتكثيفِ الدراسات والأبحاث التحليلية لمناهجهم العِلمية الرَّصينة في التعامل مع هٰذه القضية، وجدالِ مَن خالف بالَّتي هِي أحسن.

مسالك علماء الأزهر في التعامل مع الآثار النبوية:

تميَّزت المدرسة الأزهريَّة باتصال سندها بعُلماءِ وشيوخ الإسْلام مِن السلف الصالح، وعلىٰ رأسهم الصحابة رضي الله عنهم الَّذين تواترت الأخبارُ علىٰ اهتمامهم وشدة عِنايتهم بآثار نبينا الكَريم صلى الله عليه وآله وسلم؛ وقد انتقل هٰذا الاهتمامُ إلىٰ علماءِ هٰذه المدرسة العريقة، وهو ما تُعْرب عنه التواليفُ والتصانيفُ الَّتي خلَّفوها،[1] وقد سلك علماءُ الأزهر في تعاملهم مع الآثار النبوية ثلاثةَ مسالك؛ الأول التصديق وحسن الظن بالآثار الَّتي لا يوجد دليلٌ قاطعٌ ينفي نسبتَها للنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، والثاني تنزيهُه صلى الله عليه وآله وسلم عن الآثار الَّتي تَبين عدمُ صحة نسبتها له،[2] والثالث أحْدثهُ العَلَّامة الأزهريُّ الجليلُ حامي الذِّمارِ ومفتي الدِّيارِ المصريّة السَّابق الدُّكتور علي جمعة، وقد تجاوز فيه – كَعادته – الدراساتِ القديمةَ بمراحِل، وربط بين العِناية بالآثارِ النبوية وحركةِ الشّك في حقيقة بَعثة النبيين عليهم السلام، تلك الحركَة الَّتي ظهرت في القرن التاسع عشر.[3]

وتتعلق هٰذه الدراسة بالمسلك الأوَّل الخاصِّ بتصديق علماءِ الأزهر وحُسن ظنِّهم بالآثار النبوية الَّتي لا يوجد برهانٌ ساطعٌ ينفي نسبتها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأثر ذٰلك علىٰ المجتمع حُكَّامًا ومحكومين مِن حيث العنايةُ بهٰذه الآثار والاهتمامُ بها والتبرك بها في زمان الشِّدة، في مقابل إذا ما انتشر منهجٌ آخر غيرُ أزهريٍّ يحاول إخضاعَ الروايات التاريخية والآثارَ النبوية إلىٰ ما يخضع له الحديثُ الشريفُ من قواعد عِلم الحديث، وما ينتج عن ذٰلك من تكْذيب هٰذه الآثار وإساءَة الظن بها، وأثر ذٰلك علىٰ المجتمع – أيضًا – من حيْث حِرمانُ النَّاس فيه مِن هٰذه الآثار النبوية الشرِيفة.

نماذج من تعامل العلماءِ الأزهريين مع الآثار النبوية:

هُناك العديد من الرِّوايات التاريخية والدروس

---

(١) وللباحث كبيرُ عناية بما صنَّفه العلماء الأزاهرة في الآثار النبوية، وقد صدرت له دراسة بعُنوان «الجهود الأزهرية في دراسة الآثار النبوية»، نشرتها مجلة الإسلام وطن الصادرة عن الطريقة العزمية الصوفية، السنة ٣٥، الأعداد ٤١٣: ٤١٥، محرم: ربيع الأول ١٤٤٢هـ.

(٢) وقد تمت دراسة هٰذا المسلك في بحث أعدَّه راقمُ هٰذه السُّطور، وهو منشورٌ في العدد ٥٥ الصادر عن الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، الخاصِّ بمناسبة اختيار منظمة الإيسيسكو مدينةَ القاهرة عاصمةً للثقافة الإسلامية في عام ٢٠٢٠م، وعُنوان البحث «العلامة أحمد بن العجمي الأزهريُّ ودورُه في تمحيص آثارِ الأقدام المنسوبة للنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم».

(٣) ولهٰذا المسلَك سَبْحٌ آخر في بحْث قيْد الدِّراسة، عُنوانُه «فقْهُ العلَّامة الإمام علي جُمعة في الآثار النبويَّة الشريفة .. بالتطبيق علىٰ تصاويرِها في المخْطوطَات الإسلَاميَّة».

العِلمية المسجَّلة الَّتي يمكننا من خلالها رؤيةُ النموذج الأزهريّ في التعامُل مع الآثارِ النبوية قديمًا وحديثًا؛ ففي العصْر المملوكيّ يحدثنا المقريزيُّ عن أحداث صفر سنة ٨٠٦ هـ (١٤٠٣م)، فيقول: «وفي يوم السبت ثالث عشره: توجّه شيخُ الإسلام جلال الدين إلىٰ رباط الآثار النبوية، وحمل الآثارَ النبويةَ علىٰ رأسه، واستسقىٰ، وأكْثر من التضرُّع والدُّعاء مليًّا، وانصرفَ»؛[٤] والمقصود بشيخ الإسلام هُنا هو العالِم المصريّ جلال الدين البُلْقيني، ورباط الآثار هو الرباط الَّذي أنشأه الوزير الصاحب تاج الدين مُحمد بن فخرِ الدين محمد بن بهاء الدين علي بن سليم بن حِنَّا الحجازيّ، وأوْدع فيه الآثارَ النبويةَ الَّتي اشتراها مِن بني إبراهيمَ الشجريّ مِن أشراف يَنْبُع.[٥] وفي أواخر القرن التاسع عشر عِند نقل هٰذه الآثار النبويَّة – التي كَانت برباط الآثار ثمَّ انتقلت غير مرة إلىٰ أماكن عديدة – إلىٰ مقرّها الحالي بمسجد مولانا الحسين تظهر صورةٌ أخرىٰ مشرّفةٌ من صور التعامل الأزهريّ مع هٰذه الآثار النبوية؛ فقد كَان من بروتوكُول نقل هٰذه الآثار أن يحضر الاحتفاءَ بها شيخُ الأزْهر الشَّريف بمقامِه الرفيع ومفتي الدِّيار المصْرية وقاضِيها.[٦] والعالِمُ الجليل الشيخُ محمد العايش الأزهريُّ نموذجٌ من نماذج تعامل علماءِ الأزهر الشريف مَعَ الآثار النبوية، وقد كَان رضي الله عنه عالِمًا بالآثار النبوية المكَانية ومواقع الغزوَات علىٰ الطّبيعة.[٧]

وقد استمرَّ عُلماؤنا الأزهريّون المعاصرون علىٰ ذا النهْج القدِيم في التصْديق وحُسن الظنِّ بالآثار النبوية، علىٰ مَا جرت به العادة مِن اقتداءِ الخَلَف بالسَّلف، حتَّىٰ إنَّنا إذا تتبعنا السند العلميَّ لهٰؤلاء العلماءِ الأزهريين في زماننا ونسبَهم المعرفيَّ والمدرسةَ الفكْريّةَ الَّتي تربوا فيها، لوجدْنا أنَّ نسبَهم ينْتهي إلىٰ أولئك العُلماءِ الأزهريينَ القدامىٰ في منهجهم العلميِّ الرصِين الذي تعامَلوا به مَعَ الآثار النبوية في زمَانهم.[٨]

---

(٤) المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي، ت ٨٤٥هـ): السّلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ج٦، ص ١٠٠.

(٥) حسن قاسم: المزارات الإسلامية والآثار العربية في مصر والقاهرة المعزية، تحقيق حسام عبد الباسط، مكتبة الإسكندرية، مصر، ٢٠١٨م، ج٢، ص٢٧٣.

(٦) حسن محمد قاسم: ذكرىٰ مصْرع الحسين عليه السلام، ط١، (د.ن)، ١٩٣٣م، ص٦٥؛ وعبد المجيد محمود الحنَّاوي: حبيب الجهاد الإمام الحسين رضي الله عنه، ط١، مطبعة أحمد علي مخيمر، القاهرة، ١٩٥١م، ص١٠١.

(٧) وهو من عُلماءِ الأزهر الشريف المجاورين في المدينة المنورة، وقد كان حيًّا في سنة ١٣٤٠هـ؛ انظر ترجمته عِند أسامة الأزهريّ: جمهرة أعلام الأزهر الشريف في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين، مكتبة الإسكندرية، مصر، ٢٠١٩م، ج٣، ص٢٤٧.

(٨) هٰذا وينبغي عليَّ أن أُشير إلىٰ وجود عدد من العلماء غير الأزهريين دراسةً لكنهم أزهريون منهجًا، علىٰ الأقل في مثل هٰذه المسائل، ومنهم فضيلة الشيخ أبي مجاهد القارئ؛ حيث اعتبر أنَّ المقتنياتِ المنسوبةَ للنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم لا يُشترط فيها العلمُ القطعيُّ بثبوت اتصال الأثر بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، بل يكفي لثبوتها الظنُّ الراجحُ، وقد أيَّد القارئ دعواه هٰذه بما ثبت عن الإمام أحمدَ بن حنبل من تبركه بالشعرات النبوية من غير أن يتوافر له الدليل القاطعُ بأنها من شعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ وقد حاول المدخليُّ في كتابه الذي ألَّفه ردًّا علىٰ القارئ أن يُبرِّر فعلَ الإمام أحمدَ بحُسن الظن فيه وأنَّ أسانيد هٰذه الشعرات كَانت عِنده، وساق للإمام أسانيدَ ثلاثية لأحاديث نبوية شريفة؛ وأقول: الأمرُ ليس كذٰلك، إذ لو كانت لهٰذه الشعرات الشريفة عند الإمام نفسُ منهجية التعامل مع الأحاديث، لكَان بين يديه سندُها، ولو كان بين يديه سندُها، لأظهره لنا وتركه من بعْده، كما خلَّف أسانيدَ الأحاديث الَّتي وعاها وحملها صدرُه وساقها لنا المدخليُّ! لاسيما وأنهم كَانوا يحرصون غاية الحرص علىٰ الترفُّع

فها هُو العلَّامة الدكتور علي جُمعة يفرد حلَقة من حلَقات برنامجه الماتع مجالس الطيبين عن الآثارِ النَّبوية قراءةً في كتاب آثارِ الرسول لحلمي أيْدين، ثم يشارك في ٢٠١٠م في فيلم وثائقيّ عنها بعُنوان السلام عليك أيها النبيُّ، هٰذا فضلًا عن حلقة ماتعه في برنامج والله أعلم عن آثار الأنبياء، بالإضافة إلىٰ العديد من الوقفات عند ذِكْر الآثار النبوية أثناء دروس السيرة العطرة. وقلْ مثلَ ذٰلك في شيخنا المحدِّث الدكتور أسامةَ الأزهريِّ، بمشاركته شيخَه في فيلم السلام عليك أيها النبيُّ الَّذي سبقت الإشارةُ إليْه، وذهابه إلىٰ محلِّ الآثارِ في المسْجد الحُسينيّ وتقبيله سيفَ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وزيارته للشعَرات النبويَّة الشريفة فِي بلَاد الهنْد.[9]

وللدُّكتور يُسْري جبر جوابٌ صريحٌ عن سؤال وُجِّه لفضيلته بشأن صحَّة الآثار المنسُوبة للجناب النبويّ في زماننا، بالتصديق وحسن الظنّ فيها.[10]

ولقد وضعتُ كتابًا بعُنوان (الأزهريُّون وآثارُ الرسُول)[11] نقلتُ فيه عن أكثرَ مِن ثلَاثين عالِمًا أزهريًّا، مِن أمثال العلَّامة المفتي حسنين محمد مخلوف ويوسف النبهاني ومحمد طاهر الكُردي ومولانا محمد متولي الشعْراوي إمامِ الدُّعاة والشيخ أسعد الشقيري مفتي الجيش الرابع العُثماني وغيرهم من خِيرَة العلماءِ الأزهريين، ما يفيد في بيَان المنهج الأزهريّ في التعامُل مع الآثار النبوية، ولم أكتفِ فيه بالإفصاح عن كينونة هذا المنهج العتيد وطبيعته على ما فعلتُه هنا في هذا البحث الذي بين يدي القارئ الكريم الآن، بل كشفت فيه عن حججه وعضدت بأقوال وأفعال أئمة السلف الصالِح دلائلَه.

أثر المنهج الأزهري في التعامل مع الآثار النبوية علىٰ المجتمع:

لقد ظهر أثرُ المنهج الأزهريّ في التعامُل مع الآثار النبوية واضحًا جليًّا علىٰ المجتمع بأسْره حُكَّامًا ومحكُومين، فصدَّقوها وأحسنوا الظنَّ فيها وتبرَّكُوا بها واعتنوا بها عنايةً كَبيرة؛ قال العلَّامة أحمد باشا تيْمور: «ليس في هٰذه الآثار ولا فيما أوردناه عنها من النُّصوص ما يبعث علىٰ الاسترابة في نسبتها إلىٰ المقام النبوي الكَريم، ولا يخفىٰ أن كُلَّ شيء محتملٍ للصحة إذا لم يُلمز بطعن أو يُحفّ بشبهة واستفاضت به الأخبار= كَان حقيقًّا بأن تطمئن إليه النفوس وتتلقاه بالقبول، ولاسيما إذا كَان أثرًا منسوبًا إليه صلى الله عليه وآله وسلم، لا تؤمن فيه مغبة الشك والإنكار؛ ولهٰذا رأينا ذوي الحيْطة من السَّلف ومَن ائتم بهديهم في كُل جيل

(٨*) عَن مواطن ومواضع الشُّبَه؛ انظر عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ (دكتور): الآثار النبوية بالمدينة المنورة .. وجوب المحافظة عليها وجواز التبرك بها، (د.ن)، المدينة النبوية، ١٤٢٧هـ، ص١٢؛ وربيع بن هادي عُمير المدخلي: براءة الصحابة الأخيار من التبرك بالأماكن والآثار، ط١، دار الآثار، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٣٤.

(٩) انظر: فيديو علىٰ الشبكة للشيخ أسامةَ الأزهريِّ عن الآثار النبوية في المجلس الأول من مجالس قراءة كتاب الشَّمائل المحمدية للإمام الترمذي، بالجامع الأزهر الشريف، عام ٢٠١١م.

(١٠) فيديو منشور علىٰ قناة الشيخ علىٰ اليوتيوب بتاريخ ٢٨ يونيو ٢٠١٥م بعُنوان (الآثار النبوية الشريفة).

(١١) الكتابُ قيد الدّراسة، يسَّر الله إتمامَه.

يتحرَّجون عن المجازفة بالإنكار في مثل هٰذه الآثار، ويرون السَّلامةَ في قبولها والتسليم بها مَا لم يمنع مانع»،[١٢] ويخبرنا ابنُ إياس بشيء مِن أثر ذٰلك، فيقول – في حوادث سنة ٧٧٤هـ -: «وفي شهر ذي القعْدة، حصل لخوند بَرَكَة أمّ السُّلطان مرضٌ حَادّ، فتوعّك من ذٰلك جسدُها، فطلعوا إلىٰ الروضة، فتزايد بهَا المرضُ؛ فلمَّا بلغ السُّلطانَ ذٰلك، نزل من القلْعة، وتوجَّه إلىٰ نحو الأثر النبويّ، فزاره»،[١٣] وكَان من عناية السلطان الغُوريّ بها أن نقلها من محلها القديم في رباط الآثار بعدما خُرِّبَ إلىٰ قُبته الّتي أنشأها خصيصًا لها، حتىٰ ذكر بعض المؤرخين أنَّه إنَّما بناها لتكُون مُتحفًا للآثار النبوية،[١٤] وفي سنة ١٣٠٥هـ/١٨٨٨م نقل الخديوي توفيق باشا هٰذه الآثار من قصْر عابدين إلىٰ مقرّها الحالي بمسجد الحسين، ثم أمر الخديوي عبَّاس باشا حلمي الثاني بإنشاء غُرفة خاصّة بها، وتمَّت في ربيع الأول سنة ١٣١١هـ/١٨٩٣م.[١٥]

وكان من أثرِ المنهج الأزهريّ في وقتنا الحالي أن تعالت أصواتُ كَثير مِن الباحِثين بضرُورة العناية بالآثار النبوية المتفرقة في المساجد ووضعها في بؤرة واحِدة،[١٦] وقد بدت استجابةُ المسئولين لهٰذه الصيحات، فأعلن – مؤخرًا – الإعلاميُّ محمّد الباز عزمَ الحكُومة المصرية[١٧] علىٰ إنشاء مُتحف بالعاصمة الإداريّة الجديدة ونقْل الآثار النبوية إليْه.[١٨]

مسالك غير الأزهريين في التعامل مع الآثار النبوية:

انتهج غير الأزهريين في التعامل مع الآثار المنسوبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم نفسَ طريقتهم في التعامل مع الحديث النبوي

(١٢) أحمد تيمور باشا: الآثار النبوية، مطبعة دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥١م، ص١٣٠.

(١٣) ابن إياس (محمَّد بن أحمَد، ت ٩٣٠هـ): بدائع الزهور في وقائع الدهور، حقَّقها محمَّد مُصطفىٰ، مكتبة دار الباز، مكَّة المكرمة، ج١، ق٢، ص١١٤.

(١٤) علي باشا مبارك: الخطط الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ط١، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق مصر، ١٣٠٥هـ ج٥، ص٦١؛ والسيد محمود الببلاوي: التاريخ الحسيني، ط١، مطبعة التقدم العلمية بدرب الدليل بمصر المحمية، ١٣٢٤هـ ص٣٩.

(١٥) عبد المجيد محمود الحنَّاوي: حبيب الجهاد الإمام الحسين رضي الله عنه، ص١٠١ و١٠٣.

(١٦) راجع، دندراوي الهواري: الآثار النبوية في خطر، جريدة الجيل، ١٤ يوليو ٢٠٠٢م؛ وناصر محمد: آثار النبي من سيدنا الحسين إلى توب كابي، جريدة صوت الأمة، ٢ ديسمبر ٢٠٠٢م؛ ورانيا حفني: قاعة الآثار النبوية بالمسجد الحسيني، جريدة الأهرام، ٤ نوفمبر ٢٠٠٤م؛ وحسن علام: مقتنيات النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحسين .. ممنوع الاقتراب!، مجلة آخر ساعة، ٣١ ديسمبر ٢٠١٤م.

(١٧) وغير خاف علىٰ أحد تأثُرُ رأس الحكومة المصرية السيد الرئيس عبد الفتاح السيسي رئيس الجمهورية بعلماءِ الأزهر الشريف، كما صرَّح بنفسه بما شكَّلته دروسُ الشيخ صادق العَدويّ في الأزهر والشيخ الشعراويّ في الحسين في شخصيته وتكوينه الفكْري، هٰذا فضلًا عن عنايته البالغة بالمؤسسة الأزهرية ونعته لها بالوسطية والاعتدال في المحافل الدولية، كما حدث في زيارته التاريخية لفرنسا نهاية العام قبل الماضي، وقد علَّق شيخُنا الدكتور أسامةُ الأزهريُّ علىٰ صورة انجذاب فخامة الرئيس إلى موسوعته جمهرة أعلام الأزهر الشريف أثناء تفقده أكبرَ مدينة فنية وثقافية بالشرق الأوسط بالعاصمة الإدارية الجديدة في ١٦ نوفمبر ٢٠٢٠م، فقال: «أرى من خلالها اهتمامًا كبيرًا يوليه سيادة الرئيس ليس لشخصي أنا ولا لكتابي الذي ألفتُه، بل للمؤسسة التي ألفت الكتابَ عنها. هٰذه اللمحة مؤشر كبير علىٰ شدة اهتمام السيد الرئيس بالأزهر الشريف وتاريخه وعلمائه ومستقبله» حلقة برنامج مساء dmc مع الإعلامي رامي رضوان علىٰ قناة dmc الفضائية يوم الأربعاء ١٨ نوفمبر ٢٠٢٠م.

(١٨) أحمد عبد العزيز: الباز يكشف «مُتحف جديد بالعاصمة الإدارية يضم الآثار النبوية ومقتنيات نجوم دولة التلاوة»، موقع جريدة الدستور، ٢٧ يونيو ٢٠٢١م. وقد استمعت بنفسي إلى الإعلامي محمد الباز وهو يزف هٰذه البشرىٰ الطيبة في برنامجه آخر النهار المذاع علىٰ قناة النهار الفضائية حلقة يوم الأحد ٢٧ يونيو ٢٠٢١م.

الشريف، وحاولوا إخضاعها لقواعده[١٩]، فنفوا صحَّة نسبتها إليه صلى الله عليه وآله وسلم في الجُمْلة، محتجين بانقطاع أسانيدها، من دون حتىٰ النظر في الأسانيد المتوفرة لدىٰ بعض الحائزين الشعرات النبوية والحكْم عليها،[٢٠] ومؤيدين رأيهم تارةً بزهده صلى الله عليه وآله وسلم وقلة ما خلَّفه من آثار حتىٰ إنه مات ودرعه مرهونةٌ عند يهوديّ[٢١]، وعدم إمكانية بقاءِ شيء منها إلىٰ زماننا تارةً أخرىٰ[٢٢]، ثم انصرفت كتاباتُهم إلىٰ عدم جواز التبرك بهٰذه الآثار علىٰ أية حال، وإنْ صحت نسبتُها للنبيّ، كَونها منفصلةً عن جسده الشريف، إذ إنَّ الّذي يجوز فيه التبركُ عِندهم هُو ما كَان

(١٩) وهٰذا ديدنهم في التعامل مع سائر ما يُروىٰ، مع ما هو معلوم من عدم عناية المسلمين بأسانيد الروايات التاريخية قدر عنايتهم بالحديث الشريف؛ قال المحقق الدكتور بشار معروف: «علىٰ أن الإسناد في التاريخ لم يبلغ ما بلغه في الحديثُ، إذ نرى في بعض الأحيان تساهلًا في الأسانيد ورواتها؛ فالطبري مثلًا يقبل رواية الضعفاء عند المحدثين مثل محمد بن السائب الكلبي وابنه هشام بن الكلبي وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي .. وقد قبل الأئمة من المسلمين تاريخ أبي معشر المدني لكنهم ضعفوه في الحديث، إذ كان ينفرد بأحاديث أمسك الشافعي عن الرواية عنه، والأمثلة علىٰ ذٰلك كثيرة جدًا .. ومن ثَمَّ وجب لهٰذا عدم اعتبار الإسناد هو الحكم الأول والأخير في صحة المرويات في كتب التاريخ والأدب وغيرها»؛ بشار عواد معروف: مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين، مجلة الأقلام، السنة الأولى، شعبان ١٣٨٤هـ ج٥، ص٢٧. وها هو الواقدي يقول عنه الذهبي في الكاشف (٢/ ٢٠٥): «متروك»، وفي المغني في الضعفاء (٢/ ٦١٩) يقول: «مجمع علىٰ تركه»، ثم إذا هو يقول عنه في ميزان الاعتدال (٣/ ٦٦٣): «كان إلى حفظه المنتهى في الأخبار والسير، والمغازي والحوادث وأيام الناس، والفقه، وغير ذٰلك».

(٢٠) راجع بحثي الذي سبقت الإشارة إليه (العلامة أحمد بن العجمي الأزهري ودوره في تمحيص آثار الأقدام المنسوبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم) وقارن بين منهج المُحدِّث ابن العجمي الأزهري في حكمه علىٰ الآثار النبوية من حيث عدمُ الاكتفاء بالنقول وإجراءُ الدراسة الميدانية ومعاينةُ الآثار محل الدراسة علىٰ الطبيعة، وهٰذا المنهج غير الأزهري وغير المنضبط الذي لا يُكلِّف نفسَه عناءَ البحث

متصلًا بجسده كَعرقه وريقه وشعره.[٢٣]

نماذج من تعامل غير الأزهريين مع الآثار النبوية:

ظلت الآثار النبوية علىٰ العين والرأس، تَلقى من عِناية المسلمين واهتمام حُكَّامهم ما يليق بها من الحفاوة والتبجيل، محبةً منهم لمن تنتسبُ إليه هٰذه الآثار صلى الله عليه وآله وسلم، كَما قال القائل:

أمُرُّ علىٰ الدِّيارِ دِيارِ ليلى
أُقبلَ ذا الجِدارَ وذا الجِدارا
وَما حُبُّ الدِّيارِ شَغَفنَ قَلبي
وَلَكِن حُبُّ مَن سكَنَ الدِّيارا

وقد انتقل النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم إلىٰ

(٢١) فعن أمِّ المؤمنينَ عائشةَ رضي الله عنها قالت: «تُوفي رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ودِرْعُه مَرْهُونة عِند يهوديٍّ بثلاثينَ صاعًا مِن شَعيرٍ»؛ رواه البخاريُّ.

(٢٢) قال الألبانيُّ في كتابه التوسل: «هٰذا ولا بد من الإشارة إلى أننا نؤمن بجواز التبرك بآثاره صلى الله عليه وآله وسلم ولا ننكره خلافاً لما يوهمه صنيعُ خصومنا، ولكن لهٰذا التبرك شروط، منها الإيمان الشرعي المقبول عند الله، فمن لم يكن مسلمًا صادق الإسلام فلن يحقق الله له أيَ خير بتبركه هٰذا، كما يشترط للراغب في التبرك أن يكون حاصلًا علىٰ أثرٍ من آثاره صلى الله عليه وآله وسلم ويستعمله، ونحن نعلم أن آثاره من ثياب أو شعر أو فضلات قد فقدت، وليس بإمكان أحد إثبات وجود شيء منها علىٰ وجه القطع واليقين»؛ محمد ناصر الدين الألباني: التوسل .. أنواعه وأحكامه، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، (د.ت)، ص١٤٥. وانظر عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ (دكتور): الرد علىٰ السَّقَّاف في مسألة التبرك بالآثار النبوية المكانية، (د.ن)، المدينة المنورة، ١٤٢٨هـ ص١٧.

(٢٣) قال المدخليُّ: «صحيح أن الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا يتبركون بشعر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وريقه وعرقه ووضوئه، وهٰذه قد انتهت بوفاته - عليه الصلاة والسلام - فلا وجود لها، أمَّا تتبع آثاره فلم يحفظ عن صحابته الكرام والخلفاء الراشدين تتبع آثاره والأماكن التي صلى فيها»؛ ربيع بن هادي عُمير المدخلي: براءة الصحابة الأخيار من التبرك بالأماكن والآثار، ص٣١.

الرفيق الأعلىٰ، ومضىٰ زمانُ الخلفاءِ الراشدين والأئمة المهديين وزمانُ الأمويين والعباسيين والعُثمانيين لم يهدم واحدٌ من الناس أثرًا نبويًّا، أو يدعو إلىٰ ذٰلك، وعلىٰ ذا النهج كَان أئمَّة العلم المتقنون الَّذين ملكُوا ناصيةَ التحقيق وأزِمَّةَ التدقيق ونثروا بين الخلْق العلومَ النافعة الشافعةَ، إلىٰ أن جاءَ مَن بصر بما لم يبصُر به هٰؤلاء المتقدمون من السلف الصالح، فجاسُوا في الديار ولم يذروها إلا قاعًا صفصفًا!!، هٰذا إضافة إلىٰ تزهيد الناس في هٰذه الآثار، بنشر هٰذا المنهج فيهم، وما كان لذٰلك من أثر، سنورد طرفًا منه بعد سطور.

وتتمثل النماذج غير الأزهرية في تعاملها مع الآثار النبوية في مناهضةِ كلِّ الدعوات إلىٰ الحفاظ علىٰ الآثار النبوية والعناية بها، بل ودعوتِهم إلىٰ هدْم ما تبقىٰ منها، وذٰلك بشتىٰ الوسائل من فتاوىٰ وتآليف وبحوث ودراسات ورسائل عملية، وقد قامت من قبلُ بينهم والداعين إلىٰ الاهتمام بهٰذه الآثار الشّريفة معركةٌ علميةٌ حاميةُ الوَطِيس، دارت رَحاها في مقالات نُشرت في صفحات الجرائد المختلفة، ثم نشطت همَّة الدكتور عمرَ كَامل فجمع هٰذه المقالات كلَّها في صَعيدٍ واحد في كتابه القيِّم (لَا ذرائعَ لهدْم آثارِ النُّبوة)، وقد بذل فيه الدَّاعون إلىٰ إحياء هٰذه الآثار وضرورة الحفاظ عليْها من سَعة الصّدر للمُخالف أضعافَ أضعاف ما يبذله الواحدُ منّا للمُوافِق ولم يقولوا إلا الحسنىٰ.[٢٤]

أثر المنهج غير الأزهري في التعامل مع الآثار النبوية علىٰ المجتمع:

كَان من الأثر السيئ الّذي أحْدثه هٰذا المنهجُ في المجْتمع أن هُجرت هٰذه الآثارُ من قِبل فئة كَبيرة من النّاس بعْد أن كَانت مقصدًا لهم، وما علىٰ القارئِ الكَريم إلَّا مطالعة كُتب الرحالات الَّتي صنَّفها الرحالةُ عبر العصور في رحلاتهم ومشاهداتهم في مختلف البلدان الَّتي زاروها، ليقِف علىٰ مدىٰ عناية هٰؤلاء وحرصهم علىٰ مُشاهدة الآثار النبوية، بلْ ووصفها بدقّة، ويطالع كُتب المؤرخين ليرىٰ ما سطّروه لنا من تقرب العُلماء والحكَّام وعموم الناس إلىٰ الله بالحفاظ علىٰ هٰذه الآثار خاصةً في أوقات المِحن، الَّتي لمْ تسلم حياةُ الناس منها في زمان من الأزمِنة، ثم فليُقارن بيْن ذٰلك وحال النّاس مع هٰذه الآثار في زماننا، والَّذي يكْفي في بيانه عدمُ وجود دعوة واحدة للاهْتمام بهٰذه الآثار مع ما يترتب عليْه من التعَلُّق بالجناب النبويِّ الشريف واقتفاءِ سُنَّتِه في وقتٍ ضرب العالمَ كلَّه الوباءُ الخطير كوفيد ١٩.[٢٥]

وقد أفضىٰ هذا الجفاءُ والإهمال إلىٰ حرمانِ

(٢٤) عمر عبد الله كامل (دكتور) وآخرون: لا ذرائع لهدم آثار النبوة .. مقالات وردود بين المؤيدين والمعارضين، ط١، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت - لبنان، ٢٠٠٣م.

(٢٥) كوفيد ١٩ هو الاسم العلميُّ الذي أطلقته منظمة الصحة العالمية علىٰ المرض الذي يسببه فيروس كورونا المستَجِدُّ؛ فـ(Co) إشارة لـ«كورونا Corona»، و(vi) إشارة لـ«فيروس virus»، و(d) إشارة لكلمة مرض باللغة الإنجليزية «disease»، و(١٩) إشارة للسنة التي ظهر فيها هٰذا الفيروس، وهي سنة «٢٠١٩م».

الناس منها، حتىٰ إنَّ الآثار الَّتي مازالت تلقىٰ الاحترامَ والتقدير، اقتصر فتحُها أمامَ الناس علىٰ فئات بعينها، ولم يقف الأمرُ عند هذا الحدِّ، بل تعدىٰ إلى رمي الناس بعضهم بعضًا بما توعد الله تعالىٰ به عبادَه الطَّالحين بعَدم مغْفرته؛ حيثُ قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ وَيَغفِرُ ما دونَ ذٰلِكَ لِمَن يَشاءُ وَمَن يُشرِك بِاللَّهِ فَقَدِ افتَرىٰ إِثمًا عَظيمًا﴾ [النساء:٤٨]، ومعلومٌ ما يترتب علىٰ الاتهام بالشِّرك من إباحة الدمَاء المعْصُومة الَّتي حرَّم الله سفْكَها إلَّا بالحقِّ؛ فسبحان الله، أيُّ منهج هٰذا الَّذي يهدم، ثم يُكَفِّر، ثُمَّ يذهب باتباعه إلىٰ القتل؟!.

هذا فضلًا عن التهكم علىٰ الصالحين من العلماءِ المتبركينَ بهٰذه الآثار، كما حدث مع سيدي الحبيب علي الجفري والشيخ أسامة الأزهريّ بعد مسألة الإذن بالذِّكر، بإخراج بعض الصُّور الملتقطة لهما، يقبلانِ سيفَ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الموجودَ في مسجد موْلَانا الحُسين، في محاولة إظهارهما في مظهر الدّجَّال المروج للخُرافة، وحاشَاهما.

ورحماتُ ربي علىٰ العلَّامة النبويّ جبر سِراج، حيْث قال في خاتمة كتابه عَن آثار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «قدْ لا يسْلمُ المحِبّون للمُصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم المتبرِّكُون بآثارِه الشريفة من اعْتراض المعترضين بدعْوىٰ الغَيْرة علىٰ العَقيدة، مَعَ أنَّ العقيدةَ السليمة تسْتوجبُ مَعَ حُبِّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حُبَّ كُلِّ ما أحبَّه، اقتداءً بأصْحابه الكرام».[٢٦]

بل والعجب مع انتشار هٰذا الفكر بين الناس، أنَّه مع بداية الاهتمام الحكُومي بهٰذه الآثار النبوية الشريفة، الَّذي أعلن عنه البازُ في خبر وصفه بالانْفراد، فإنَّنا لم نجد لهٰذا الخبر ذيوعًا وانتشارًا في وسائل الإعْلام المختلفة، حيثُ لم ينقله إلا موقعَان هما الدستور وصدىٰ البلد، وبالتالي لَم يجد صدًى في المجتمع أو ينتشر بيْن عُموم النَّاس إلىٰ ساعة كتابة هٰذه السُّطور!.

وتوصي الدراسة – في هذا الوقت الَّذي عادت فيه ثقة الناس في علماءِ الأزهر الشريف بعدما انكشفت أمام أعينهم التيارات الأخرىٰ – بإعادة النموذج الأزهريِّ وتفعيله، وذٰلك من خلال الخُطوات الآتية:

• نشر المنهج الأزهري، الذي هو منهج الصحابة، الَّذين هم ألصقُ الناس بالنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وأحرصُهم علىٰ اتباع سُنَّته.

• الاهتمام بالرد علىٰ المخالفين، فإن ما يكتبونه في شأن الآثار النبوية مبثوثٌ وظاهر في كل مكان، بخلاف ما كتبه ويكتبه العلماء الأزهريون؛ وإنَّ كاتب هٰذه السطور قد ذاق الأمَرّين في محاولة بيان الجهود الأزهرية في دراسة الآثار النبوية في أبحاثه التي انقضت والتي لاتزال قيدَ البحث إلىٰ الآن.

(٢٦) النبوي جبر سراج: آثار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومخلفاتُه الشريفة، المكتبة التوفيقيّة، القاهرة، (د.ت)، ص١٧٠.

• سرعة الاهتمام والعناية بالآثار النبوية المتوفرة وإتاحة عرضها والسماح بزيارتها لعموم الناس.

الخاتمة:

لم يسلك العلماءُ الأزاهرة رضي الله عنهم مسلكًا واحدًا فقط في التعامل مع الآثار النبوية، بلْ أحاطوها بالدراسة والعِناية من كُلِّ جانب، وقد اهتمّت هٰذه الدراسة بواحد من هٰذه المسالك، وهُو الخاصُّ بالتصديق وحُسن الظن في هٰذه الآثار النبوية، وهو المنهج العلميُّ المنضبط عِند علماءِ هذا المعهد العلميّ العريق، الجامع الأزهر الشريف، ولئن شاعت في الأمة مناهجُ أخرىٰ، فإنَّ ما كَان لله بقي، لقوْلِه تعالىٰ في كتابه: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذهَبُ جُفاءً وَأَمّا ما يَنفَعُ النّاسَ فَيَمكُثُ فِي الأَرضِ كَذٰلِكَ يَضرِبُ اللَّهُ الأَمثالَ﴾ [الرعد: آية ١٧].



١١

مراجعة لكتاب
«يوميّات السيرة النبويّة المشرَّفة»



عضو وحدة حوار بدار الإفتاء المصرية



لمن يريد قراءة عصرية حديثة وفهم للسيرة النبويّة: كتاب يوميات السيرة النبوية المُشرفة لمؤلفه عبدالله أبوذكري، اشراف علمي أ.د علي جمعة، أن تعيش بعد القراءة «حياة» سيدنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لا زمن سيدنا النبي. هذه مراجعتي للكتاب وتقييمه:

طباعة الكتاب: يتألف الكتاب من ٤ مجلدات من القِطع المتوسط؛ عدد الصفحات كاملة للكتاب كله ٢٥٨٨.

اللغة: المحتوى مكتوب بلغة سهلة عصرية؛ حتى أن كل جزء يحتوي على ملاحق تشرح أسماء الأماكن التي وقعت فيها أحداث السيرة بأسمائها المعاصرة والقديمة.

المنهجية:

منهجية الكتاب متميزة وجديدة لأنها تقدم «التأريخ» للسيرة من خلال سرد الأيام أو عمل Calendar «رزنامة» للأحداث، وهذا يجعل القارئ داخل الحدث يعيشه بكل تفاصيله، أو كما أحببت أن أسميها قراءة 4D «رباعيّة الأبعاد»، لأنك تعيش الحدث بأدق التفاصيل وتطبقه على الواقع الآن.

أهم ما وقفت عنده في هذا الكتاب هو معايشة السيرة النبوية الشريفة بلغة بسيطة يفهمها المتخصص وغير المتخصص، بمعنى أن من يقرأ سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأول مرة، سيجد ضالته هنا في هذا الكتاب،

ومن تبحر في قراءة السيرة ويريد مثلا أن يرجع إلى حدث بعينه سيجد ضالته أيضا.

الكتاب أرشحه بقوة لكل مبتديء في قراءة السيرة؛ لأن الطريقة أو المنهجية المكتوب بها الكتاب تجعل من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم نموذجًا أمام الأعين نعيش حياته «أي نطبق هديه» لا زمانه «لأن الوقت تغير».

يقدم الكتاب عرض جديد للسيرة النبوية في صورة «يوميات» كما ورد في مقدمة الكتاب، يحكي كل يوم سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الصباح إلى غروب الشمس بتحديد يوم الأسبوع والشهر والسنة بالهجري والميلادي، حيث يمكن للقارئ تأمل حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من منظور مختلف في الترتيب والتنسيق للتعرف على أحواله وحياته الشريفة.

جغرافيا الأحداث: يتم وصف الأماكن التي وقعت بها الأحداث وأسماء المناطق بشكل منظم في جداول «ملاحق» نهاية كل جزء كلما تتطلب الأمر؛ فمثلا الغزوات والفتوحات كلها محدد أماكنها وأسماءها وتفاصيل تواريخها بشكل بسيط.

حتى الهوامش في الكتاب يسهل الوصول إليها ولا ينقطع التركيز بسبب كثرتها كما هو موجود في بعض المجلدات الكبيرة، وهذا ما يجعل القاريء متحمس لاستكمال القراءة ومتابعة الأحداث.

الأحداث موزعة على المجلدات كالآتي:

–**المجلد الأول**: من مولد السيد عبد الله «والد النبي صلى الله عليه وآله وسلم» ٧٩ ق.هـ حتى غزوة بني لحيان بالرجيع ٦ هـ

–**المجلد الثاني**: من غزوة الغابة ٦ هـ حتى ولادة سيدنا إبراهيم «ابن النبي» ٩ هـ

–**المجلد الثالث**: من غزوة تبوك ٩ هـ حتى الانتقال الشريف «وفاة سيدنا النبي»– بداية الملاحق العلمية لتأريخ الأماكن والأحداث للغزوات.

–**المجلد الرابع**: باقي الملاحق العلمية للاحداث والأماكن.

المراجع مكتوبة داخل النص كما ذكرت، والمراجع الواردة داخل الكتاب منها على سبيل المثال لا الحصر:

طبقات ابن سعد – معجم معالم السيرة – فتح الباري لابن حجر – معالم المدينة المنورة لعبد العزيز الكعكي – سبل الهدي والرشاد للصالحي الشامي – معجم البلدان لياقوت الحموي – الجبال والأمكنة والمياه الزمخشري – المغازي للواقدي، وغيرها من المراجع العامة في هذا الموضوع.

عمل متميز نحتاج منه الكثير في وقتنا هذا، جزى الله القائمين عليه خيرا، وجزى سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم عنا خير ما جزا نبيا عن أمته.

١٢ السادة الصوفيَّة وأسانيدهم العليَّة (٢)

سماع الحسن البصريّ من سيدنا عليٍّ بن أبي طالب





وبعد العرض المبسَّط لقضية الإسناد وأن طريق القوم مسندٌ ومتصلٌ من أوله إلى منتهاه، وأهم ما يتميز به التصوف أنَّ كل أجزاءه مسندةٌ ومسلسلةٌ ليس الشيخ فقط هو المسند في التصوف وإنَّما لبس خرقة التصوف، والعهد، والصحبة، وتلقين الذكر، وهذا نموذجٌ على إسناد الذكر والأوراد، يقول سيدي محمد بن يلس التلمسانيّ الدمشقيّ : «إنَّ قراءة أوراد السادة العارفين هو مما يزيد في قرب العبد إلى مولاه، وكان ممن له اليد الطوال في حسن الإرشاد والدلالة على طريق الحق والسداد سيدي أبو الحسن الشاذلي، فقد كانت أوراده البهية من أحسن ما ترقَّت به أبناء طريقته إلى المراتب العليا، وأردت في هذه العجالة أن أُذكِّر السَّادة الإخوان ببعض ما تلقَّاه والدي عن جدي عن سلسلة الأقطاب من أهم أوراد هذه الطريقة الشريفة، ذات الفضائل المنيفة، عن مشايخ السَّادة الشاذليَّة؛ والتي أخذ فيها والدي وجدي الإجازات الكبار بتلقينها لمن رام سلوك طريقتهم العليا، وأن هذه الأوراد منتقاة عن مشايخ وسادات الطريقة المتسلسلة إلى سيد الكائنات عليه أفضل الصلاة والتسليم، بأسانيد مسطورة محفوظة مشهورة «ولا يحسن الختام إلَّا بذكر سند طريقتنا الصِّديقيَّة الشاذليَّة إلى الملك العلَّام جل جلاله بذكر رجال الطريق الأعلام إلى سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن اللطيف في طريقتنا العليَّة، أن شيخها اسمه عليّ يتصل سنده بسيدي علي أبي الحسن الشاذليّ بسنده إلى سيدنا عليّ بن أبي طالب، وقد تلقى الطريق من صاحب القدر العليّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى ربِّ العزة العليِّ الأعلى جل جلاله ، فمن عليٍّ عن عليٍّ عن عليٍّ عن عليٍّ صلى الله عليه وآله وسلم عن العليّ الأعلى جل جلاله، وفي هذا المعنى يقول سيدي مُحمد عِوض المنقوش في قصيدةٍ يمدح فيها شيخ الطريق سيدي نور الدين علي جمعة مشيرًا إلى هذا المعنى اللطيف:

فيا عليُّ رقِّينا ** ويا عليُّ نقِّينا

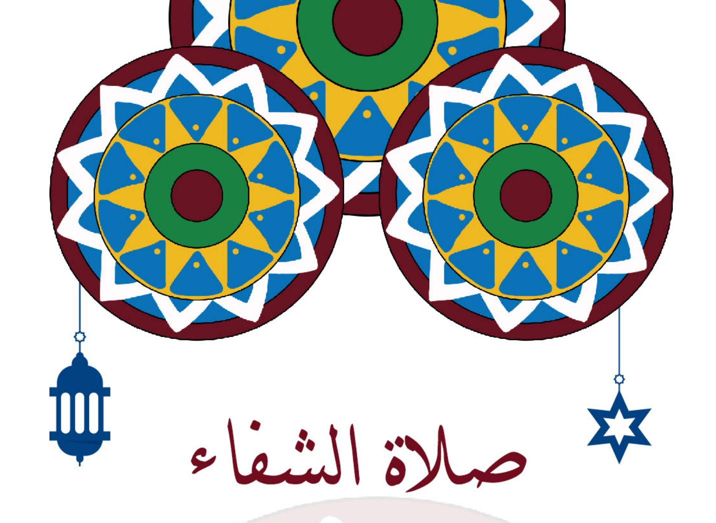
ويا عليُّ أعطينا ** ويا عليُّ اسم الله

فقد وَصلنا الطريقُ واتصلنا بالرجال الأكابر وتمَّ لنا الخير من بابنا إلى الله وقدوتنا شيخ

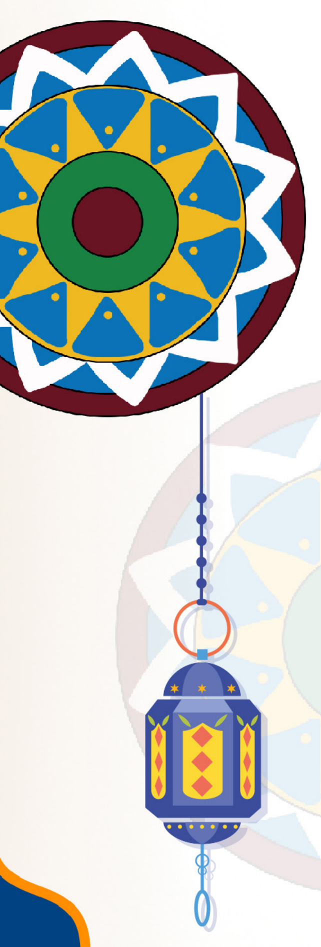
الطريق وإمام أهل التحقيق سيدي أبو الحسن نور الدين علي بن جمعة بن محمد بن عبد الوهاب الشافعيّ المصريّ حفظه الله تعالى عن سيدي الإمام السيد عبد الله بن محمد بن الصديق الغماريّ عن والده سيدي الإمام أبي عبد الله محمد بن الصديق بن أحمد بن عبد المؤمن الغماريّ الشريف الحسنيّ عن سيدي الإمام محمد بن إبراهيم الفاسيّ عن سيدي الإمام عبد الواحد بنانيّ عن سيدي الإمام محمد بن الغالي أيوب عن سيدي الإمام أحمد بن عبد المؤمن جدّ الشيخ محمد بن الصديق عن سيدي الإمام العربيّ بن أحمد الدرقاويّ عن سيدي الإمام على الجمل العمرانيّ عن سيدي الإمام العربيّ بن أحمد بن عبد الله عن سيدي الشيخ الإمام أحمد بن عبد الله عن سيدي الإمام قاسم الخصاصيّ عن سيدي الإمام محمد بن عبد الله الفاسيّ معن عن سيدي الإمام عبد الرحمن بن محمد الفاسيّ عن أخيه سيدي الإمام يوسف بن محمد الفاسيّ عن سيدي الإمام عبد الرحمن المجذوب عن سيدي الإمام على الدَّوار عن سيدي الإمام إبراهيم أفحام الزرهونيّ عن سيدي الإمام زروق البرنسيّ عن سيدي العارف الكبير أبي العباس أحمد بن عقبة الحضرمي عن سيدي أبي زكريا يحيى بن أحمد عن سيدي الإمام علي وفا عن والده سيدي الإمام محمد وفا عن سيدي الإمام أبي سليمان داود بن عمر الباخليّ عن سيدي تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندريّ عن سيدي الإمام أبي العباس المرسيّ عن سيدي الإمام أبي الحسن الشاذليّ عن سيدي الإمام أبي محمد عبد السلام ابن مشيش عن سيدي الإمام عبد الرحمن بن الحسين المدنيّ العطار الزَّيَّات عن سيدي تقي الدين الفقير عبد الرحمن النهرونديّ عن سيدي الشيخ الإمام فخر الدين محمد عن سيدي الإمام نور الدين أبي الحسن علي عن سيدي الإمام تاج الدين محمد عن سيدي الإمام شمس الدين محمد، المتوفى بأرض الترك عن سيدي الإمام زين الدين محمود القزوينيّ عن سيدي الإمام أبي إسحاق إبراهيم البصريّ عن سيدي الإمام أبي القاسم أحمد المروانيّ عن سيدي الإمام أبي محمد سعيد عن سيدي سعد عن سيدي الإمام أبي محمد فتح الشعود عن سيدي الإمام سعيد الغزوانيّ عن الصحابيّ سيدنا أبي محمد جابر بن عبد الله الأنصاريّ رضي الله عنه عن سيدنا الإمام الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما عن والده سيدنا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن سيدنا وسيد الخلق أجمعين نبي الله وخليله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وآله وسلم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلَّم.





صلاة الشفاء





اللهم صلِّ على سيدنا محمد

طِبِّ القلوب ودوائها

وعافية الأبدان وشفائها

ونور الأبصار وضيائها

وقوت الأرواح وغذائها

وعلى آله وصحبه وسلِّم

في كل لمحة ونفس

عدد ما وسعهُ علم اللّٰه



قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد:٣]

سنة الله في الكون أن جعل من كل خلق زوجين، دائمًا زوجين يكمّل بعضهما بعضا؛ لتكتمل صورة الكون، فالله تعالى خلق برٌّ وبحر، ليلٌ ونهار، شمسٌ وقمر، ذكر وأنثى.

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦]
خلق الله تعالى لكل نوع منهما هوية خاصة تميزه وتجذب إليه النوع الآخر فيتكاملا، والهوية هوية جسدية وهوية عقلية وهوية شعورية، وبتناغم كل منهما مع هويته وبتكاملهم معًا يَعمُر الكون.

والله تعالى استخلف الانسان في الأرض، وأول ما استخلفه عليه هي نفسه؛ فعلى الإنسان أن يفخر بما خلقه الله عليه سواء كان ذكرًا أو أنثى، فقوته في هويته التي فَطَرَه الله عليها، وكذلك عليه أن يتأمل ما أبدع الله في خلقه، وما طَبَعَ فيه وما طَبَعَ في الآخر من طبائع تكوينية تؤهل كل منهما ليؤدي دوره باتقان في هذا العالم، فيفهم نفسه ويفهم الآخر ويقدره ويعذر طباعه.

وقد وَرَدَ عن الإمام أبي الحسن الشاذُلي أنه قال: «العاقل من عقل عن الله ما أراد به ومنه شرعًا...»[١]

(١) العاقل من عقل عن الله ما أراد به ومنه شرعًا، والذي يريد الله بالعبد أربعة أشياء إما نعمة أو بلية أو طاعة أو معصية ؛ فإذا كنت بالنعمة فالله تعالى يقتضي منك الشكر شرعًا، وإذا أراد الله بك البلية فالله يقتضي منك الصبر شرعًا، وإذا أراد الله منك الطاعة فالله يقتضي منك شهود المنة ورؤية التوفيق منه شرعًا، وإذا أراد الله بك معصية فالله يقتضي منك التوبة والإنابة شرعًا، فمن عقل هذه الأربعة عن الله وكان فيها بما أحب الله منه شرعًا فهو عبد على الحقيقة، بدليل قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ «من أعطى فشكر، وابتلى فصبر، وظلم فاستغفر، وظُلم فغفر، ثم سكت فقالوا: ما له يا رسول الله ؟ قال: أولئك لهم الأمن وهم مهتدون» درة الأسرار [ط. المطبعة التونسية الرسمية ص٨٦].

لذا فإن فهم الأحوال الشعورية للذكورة والأنوثة ليس بالأمر الترفيهي إنما هو أمر هام لاستقامة الحياة.

الذكورة؛ كلمة فيها ما فيها من معاني الشدة والصلابة، الشجاعة والمبادرة، الحماية والدفاع، الرعاية والاهتمام، التأثير والثبات على المباديء، الإصرار والتحدي والمنافسة.

وأما الأنوثة ففيها السكون، الرقة واللين، الاستقبال والاستيعاب، الأناقة والتميز، المرح والسعادة، الاستمتاع وإمتاع من حولها، اللطف والمحبة والإشراق، القوة الناعمة.

وإذا تأملنا نجد أن الله تعالى أهَّل كل منهما ليؤدي دوره بإتقان في هذا العالم، فكلاهما يحمل الصفات والأحوال الذكورية والأنثوية، ولكن تطغى إحداهما على الأخرى فنجد أن ٧٠٪ أو يزيد من صفات الذكر صفات ذكورية والنسبة المتبقية هي صفات أنثوية، والأنثى أيضًا هكذا ٧٠٪ أو يزيد من صفاتها صفات أنثوية والنسبة المتبقية هي صفات ذكورية، وقد يحدث أحيانًا أن يحتاج كل منهما إلى أن يتبنى حال الآخر ليؤدي مهمة معينة، فهذا أمر طبيعي ولكن بشرط ألا يدوم هذا الحال.

وإذا نظرنا نظرة عامة نجد أن الصفة الغالبة على الذكر هي العطاء، والأنثى تتميز بحُسن استقبال هذا العطاء، يعيش الذكر في عالم التأثير وتحيا الأنثى في عالم التأثر، يهب الذكر أنثاه مقومات الحياة، لِتَكُون الأنثى بسحرها باب الظهور الوحيد لهذه الحياة.

تتميز الأنثى باهتمامها بالعلاقات بينها وبين كل ما حولها، فالأنثى الحقيقية تهتم بأن يكون كل من حولها في سلام، ويمتد ذلك ليصل إلى مجتمعها بأكمله، وكذلك تتمتع بقدر عال جدًا من الاستيعاب، وهذا الاستيعاب هو من يجذب الذكر إليها فهو لا يستطيع أن يقاوم هذا الحال، فهذا الحال يمثل له السكون الذي يبحث عنه ويُشعره بقيمته، وهذه هي قوة الأنثى؛ القوة الناعمة.

يتميز الذكر بالقوة الجسدية والنفسية، القدرة على المواجهة وحل المشكلات، التمسك بالقواعد والأصول والمبادئ، والصدق في الكلمة والوفاء بالعهود، هذا الثبات هو ما يجذب الأنثى إليه فهي لا تستطيع أن تقاوم هذا الحال، فهذا الحال يمثل لها الأمان الذي تبحث عنه دائمًا والذي يُشعرها بقيمتها؛ فثبات الرجل وسكون المرأة هما الحجر الأساس لتكوين بيت سعيد.

يختلف الشكل الأساسي للدعم عند الذكر والأنثى، فإن كان دعم الذكر كالماء للأحياء، فإن دعم الأنثى كالعافية للأبدان، فلا تصلح الحياة إلا بتكاملهما.

لا يكل الذكر السَوي ولا يمل من المبادرة والقيام بواجباته وتقديم الرعاية والاهتمام؛ ففطرة الذكر خدمة الأنثى بدلالة قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ

قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾[النساء: ٣٤] فهو يستجيب فطريًا لرقة الأنثى ويبذل الجهد لتلبية احتياجاتها ودعمها دعمًا ماديًا حقيقيًا لتصل إلى أهدافها المادية والمعنوية بأمان، فهو مستمع جيد يستمع إليها ويتفهم احتياجاتها ويوصلها إليها من أقرب طريق؛ وهذا يُشعرها بقيمتها عنده، فتأمن على نفسها معه وتستكين له، وهذا يعود بالنفع عليه أيضًا فالذكر السَوي يسعد ويفخر بسعادة أنثاه به، ويفخر بما تصل إليه لأن القدرة على إسعادها فطرته.

وهذا ما كان من خير الرجال صلى الله عليه وآله وسلم حين أخبرته السيدة عائشة بقصة عشر نساء وأحوال أزواجهن معهن، ثم ختمت بقصة أم زرع وأبي زرع وكيف كانت الحياة بينهما وكم أغدق عليها وأكرمها لكنه في النهاية طلقها، وهو صلى الله عليه وآله وسلم يستمع إليها في هدوء حتى قال لها: «كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لأُمِّ زَرْعٍ» وفي بعض الروايات: «كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لأُمِّ زَرْعٍ إِلَّا أَنَّ أَبِي زَرْعٍ طَلَّق وَأَنا لَا أُطَلِق».

أما الأنثى السَوية فلا تكل من تقديم الدعم والمساندة فقد فطرها الله تعالى على التأثر والاستيعاب، فالأنثى عندها قدرة هائلة على قراءة مشاعر من حولها، وفهم احتياجاتهم بدقة؛ فهي تستقبل بكل كيانها وحواسها، تتفاعل مع ما استقبلته من طاقات مختلفة، تستر العَيْب والضعف، تسلب الطاقات السالبة وتُخرج طاقات جديدة متجددة فيها ما فيها من الحيوية والأمل والسلام، كما أنها ترى الكثير من التفاصيل التي لا يراها الذكر، لذا فهي قادرة على الاعتناء به وبكل شئونه لكنها تقوم بهذا الدور بكل هدوء؛ فالأنثى السوية آية من آيات الله كما أخبرنا بذلك عزوجل حين قال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الروم: ٢١].

ولعل خير مثال على هذا ما كان من السيدة خديجة سيدة نساء العالمين مع زوجها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث يروي الإمام البخاري هذا في صحيحه يقول:

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ اقْرَأْ قَالَ مَا أَنَا بِقَارِئٍ قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ قُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ

مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَرْجُفُ فُؤَادُهُ فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضى الله عنها فَقَالَ زَمِّلُونِى زَمِّلُونِى فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِى فَقَالَتْ خَدِيجَةُ كَلاَّ وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِى الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِى الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ يَا ابْنَ أَخِى مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَبَرَ مَا رَأَى فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ الَّذِى نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى صلى الله عليه وسلم يَا لَيْتَنِي لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا لَيْتَنِى أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ قَالَ نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِىَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ.

والذكر السَوي تجده دائمًا في تناغم وانسجام مع أهل بيته، يهتم بقضاء وقت ممتع معهم، يشاركهم ما يصنعون كما جاء عند الإمام البخاري حين قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَرْعَرَةَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنِ الْحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ رضى الله عنها مَا كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَصْنَعُ فِي الْبَيْتِ قَالَتْ: «كَانَ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ فَإِذَا سَمِعَ الأَذَانَ خَرَجَ»، وهذا الانسجام يُمد الذكر بما يحتاج من مشاعر الدفء والحنان، فيعود للعالم الخارجي قادر على المواجهة والتحدي من جديد لأجله ولأجل أسرته السعيدة.

وكذا نجد أن له دور بارز في تعليم أبنائه المسئولية والالتزام بالمبادئ والالتزام بالوعود، والالتزامات الاجتماعية، وتشجيعهم حتى يكون لهم دور تأثيري في مجتمعاتهم، كما أنه ملجأ للدعم وتقديم الحلول والتوجيه بحنان بالغ بلا تجريح أو انتقاص، ولأن للذكر دائمًا نظرة شمولية للأمور نجده يُرسي القواعد والأصول لأسرته، ويهتم بتحقيقها ليضمن استقرار الأسرة وحمايتها من الأخطار والوصول بها إلى بر الأمان.

حتى أن الشريعة الإسلامية احترمت فطرة الذكر السَوي واهتمامه بتأمين بيته وأسرته فجعلت من حقوقه الشرعية ألا تخرج المرأة من بيته إلا بإذنه، وألا تُدخِل أحدًا إلى بيته إلا بإذنه.

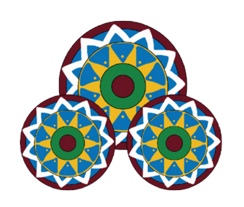
أما الأنثى السَوية ففي بيتها تهتم بكل التفاصيل، تعبر عما تريد بألطف الأساليب لا

تجرح أحدا، ترغب في أن يكون كل شيء مثالي ومتميز، وأن يجد كل أفراد أسرتها راحتهم، تقضي وقتها تخطط كيف يفرح أهلها وكيف يقضون وقتًا ممتعًا، تهتم بكل فرد منهم وبكل تفاصيله واحتياجاته، تكرم الجميع وتغدق عليهم.

لا تتنازل عن الأمان والسلام وتقاتل ليَعُم هذا الحال على بيتها، تهتم دومًا بالتجديد والتنوع والاختلاف حتى أن الله تعالى قال عنها: ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[الزخرف: ١٨]، الأنثى السَوية مركز عاطفي يأتي إليها الجميع كلٌ يحمل ما يحمل من الهموم، ثم ينفصلون عنها مفعمين بالطاقة، فهي كشمس لا تنطفئ أنوارها.

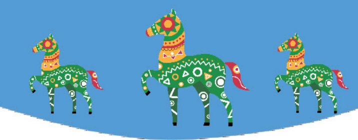
والمتأمل لمباديء الشريعة الإسلامية يجد أن في ضوابطها الحاكمة لطبيعة العلاقة بين الذكر والأنثى احترمت فطرتها في مواطن كثيرة، وضمنت لها ما يحقق لها الأمان، فنجد أن من حقوق الزوجة حق المسكن والملبس والمأكل، فلابد أن يؤمن لها زوجها هذه الاحتياجات الأساسية، كما نجد أيضًا أن الشرع منع زواج البِكر بدون ولي؛ فالبِكر لم تمر بتجربة الزواج من قبل، وهذا يدل على احترام طبيعة الأنثى وعاطفيتها التي قد تؤثر على قرارها، فاحترم الشرع احتياجها الشديد لرجل حكيم يساعدها في اتخاذ قرار صائب، وجعل هذا من شروط زواجها.

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦] هذه فطرة الله التي فطر عليها الكون، فليتأمل كل منا حاله، ولا يتنازل عن هويته وفطرته ويحيا كما أراد الله منه؛ فإن قَلبُ الفطرة يؤدي إلى اضطراب الإنسان، ومن ثَمَّ اضطراب الأسرة والمجتمع وتدمير الإنسانية بأكملها.



١٤ احتفالات المولد النبوي في العالم الإسلامي عيون الرحالة والوافدين

مؤمن محمد



كانت الرحلة ولا زالت من أهم مصادر المعرفة الحية فهي معلومات ناتجة عن معايشة ومعاينة مباشرة بدون وسيط وعادة ما يكون الرحالة مولعون بتسجيل المظاهر الاحتفالية التي تصادفهم أثناء الرحلة لا سيما الاحتفالات الدينية وخصوصا الاحتفالات الشعبية التي ينظمها الناس وقد لا تتعلق بالدولة أو تكتفي الدولة فيها بالإشراف والمساعدة.

وهذا لا يعني إغفال الرَّحالة للاحتفالات الرسمية، بل إن منهم من سجل ذلك كابن خلدون وتسجيله لاحتفال سلطان غرناطة بالمولد الشريف، وبطبيعة الحال لا يمكن لمقال واحد أن يقوم بعملية استقراء لكتب الرحلات وما سجله أصحابها في هذا الصدد ومن ثم فسأكتفي بعرض بعض النماذج بداية من القرن الخامس الهجري ووصولا للعصر الحديث.

ويستحسن قبل الحديث عن المظاهر الاحتفالية في كتابات الرحالة الإشارة لبدايات الاحتفال بالمولد بصورة إجمالية، مع التأكيد على أن التصنيف في المولد الشريف كان سابقا على الاحتفالات العامة وكذلك الاحتفالات الشعبية، كانت سابقة على نظيرتها الرسمية، فتشير المصادر إلى أن بداية الاحتفالات الرسمية في مصر تعود للعصر الفاطمي.

أما في العراق والشام، فقد عرفت الاحتفالات الشعبية أولا على يد الشيخ عمر الملا أحد أعوان السلطان نور الدين محمود، وسرعان ما حضره القادة والأمراء لتعلن الدولة رضاها عن هذه الاحتفالات، وعن الغرب الإسلامي: فقد كانت البداية بدعوة الشيخ أبو القاسم العزفي للناس كي يحتفلوا بالمولد، وفيما بعد يصل ابن الشيخ للحكم ويحتفل بالمولد الشريف بشكل رسمي.

ويحدثنا ابن جبير في رحلته عن أوائل عصر سلاطين الأيوبيين عن اهتمام أهل مكة بالآثار النبوية لا سيما في يوم المولد الشريف وتعهدهم لمكان مولده صلى الله عليه وآله وسلم بما يليق ودخول الناس متبركين به كل عام في شهر ربيع الأول قائلا: والموضع المقدس الذي سقط فيه ، صلى الله عليه وآله وسلم

ساعة الولادة السعيدة المباركة التي جعلها الله رحمة للأمة أجمعين، محفوف بالفضة ...... يفتح هذا الموضع المبارك ، فيدخله الناس كافة متبركين به ، في شهر ربيع الأول ويوم الاثنين منه ، لأنه كان شهر مولد النبي، صلى الله عليه وآله وسلم. وفي اليوم المذكور ولد صلى الله عليه وآله وسلم، وتفتح المواضع المقدسة المذكورة كلها. وهو يوم مشهود بمكة دائماً».

ونص ابن جبير هنا يشير إلى نقطة هامة، فعلى الرغم من كون الرحلة في بدايات العصر الأيوبي إلا أن احتفالات المولد النبوي استمرت ولم تتوقف في العهد الأيوبي و إن كان ابن جبير تحدث عن احتفال شعبي فقط فسبب ذلك أنه لم يحضره وإنما سمعه من أهل مكة في موسم الحج .

وجدير بالذكر أننا نتحدث هنا عن الاحتفالات الشعبية بالمولد وهي تختلف كليا عن احتفالات العلماء بالمولد وكذلك الاحتفالات الرسمية للدولة وبطبيعة الحال كانت الاحتفالات الشعبية تلفت أنظار الرحالة لطرافتها من ناحية وغرابتها من ناحية أخرى فها هو «إدوارد وليم لاين» الذي زار مصر في القرن التاسع عشر وبالتحديد في فترة حكم «محمد علي باشا» يسجل احتفالات المولد النبوي والتي تتم مراسمها في منطقة بركة الأزبكية فيتحدث عن الاحتفالات مع بداية شهر ربيع الأول وحتى ليلة المولد وتختلف الاحتفالات النهارية عن نظيرتها الليلية، فبينما تقتصر الليلية على مجالس الذكر غالبا نجد بالنهار شعراء الربابة ومنشدو السير الشعبية كالسيرة الهلالية وسيرة الظاهر بيبرس والحواة الذين يمارسون ألعابهم لتسلية الناس القادمين من أنحاء مصر.

وأشد ما جذب انتباه «وليم لاين» السير الشعبية والذكر واحتفالات الليلة الأخيرة، فيقول: والذكر أحسن ما يستقطب انتباه المشاهدين أو السامعين ولا تضاهيه إثارة وأهمية سوى حكايات رواة القصص الشعبية وينتهي الاحتفال مع آذان الصبح وتتوقف كافة حلقات الذكر باستثناء ذِكر سُوق البكري بعد ثلاث ساعات من منتصف الليل وترفع في اليوم التالي الخيم وكذلك القائم والصاري».

ولم تكن الاحتفالات شعبية فقط، فقد سجلت لنا كتب الرحلات احتفالات العلماء بالمولد، ومن ذلك الاحتفال في الحرم المقدسي الذي حضره الشيخ عبد الغني النابلسي ودونه في رحلته «الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى مصر وبلاد الشام والحجاز» فيبدأ الاحتفال بعد صلاة العشاء فيقوم رئيس طائفة الموالدية بقراءة القرآن الكريم ثم قراءة وإنشاد المولد الشريف وبعد ذلك يتم توزيع الحلوى وماء الورد في النهاية، ويحضر الاحتفال جميع فئات وطبقات المجتمع، ويحضر كذلك النساء والأطفال لكنهم يجلسون في ركن منعزل منعا للاختلاط ويبدوا أن هذا الاحتفال كان على قدر من الأهمية

لحرص الجميع على حضوره، حتى النساء ذوات الحجال؛ ناحية من المسجد مجتمعات، ومعهن الصبيان الصغار والبنات، ثم شرع في المولد الشريف، وحوله جماعة من المؤذنين يترنمون بالصوت اللطيف ثم فرقوا على جميع الحاضرين أنواع السكر والنقل وطيب الرياحين، وجاؤوا بماء!الورد ومباخر العود».

وعن الاحتفالات الرسمية التي تنظمها الدولة، فلدينا ما سجله ابن خلدون في رحلته عن احتفال سلطان غرناطة بالمولد النبوي، وإن كان ما يرويه ابن خلدون مقتضب وغير كافي فلدينا لحسن الحظ وصف الوزير لسان الدين بن الخطيب لاحتفال الغني بالله سلطان غرناطة وإن كان ذلك في عام آخر.

يتحدث ابن خلدون عن حضوره المولد في اليوم الخامس من قدومه، وأن السلطان كان يحتفل بهذا اليوم بصنع الطعام والولائم والإنشاد، وأنه يقلد ملوك المغرب في هذا الاحتفال.

و ينقل لنا الوزير لسان الدين بن الخطيب مَراسِمَ احتفالِ السلطان بالمولد في وصف طويل مسهب يتخلله الكثير من السجع المستخدم آنذاك، فيبدأ بوصف قصر الغني بالله وفخامته ثم يتحدث عن الحاضرين ومراتبهم ثم مجالس الذكر والانشاد التي يقيمها السادة الصوفية، ثم يتحدث عن الساعة التي اتخذها السلطان لتنبه كلما مضى جزء من الليل ويمتد الاحتفال من صلاة العشاء إلى الفجر.

ومن اللافت للنظر ضخامة الاحتفال بما لا يتناسب مع وضع الأندلس السياسي الضعيف آنذاك، ولكن نفس الأمر فعله السلطان قنصوة الغوري في مصر، فنظَّمَ احتفالات ضخمة للمولد الشريف في محاولة لإظهار قوته.

وعلى كل حال فكلما أوغلنا في المصادر وجدنا أشكالًا ومظاهرَ مختلفةً للاحتفال بالمولد الشريف، ويجب أن نعلم أن المحرك الرئيسي لهذه المظاهر هو الاحتفال بمولده صلى الله عليه وآله وسلم فناء في حبه صلى الله عليه وآله وسلم، فاللهم اجز عنا نبينا ما هو أهله، واللهم صل على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

مراجع:

١-انظر عن بدايات الاحتفال بالمولد النبوي «نبذات عن تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي»،مجلة الصديقية الشاذلية،العدد الثالث،ص٧٦.

٢-ابن جبير، تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار =رحلة ابن جبير ،تحقيق: علي كنعان،دار السويدي للنشر، أبو ظبي، ٢٠٠١م، ص٨٦.

٣-إدوارد وليم لاين، عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم،ترجمة:سهير نعوم،مكتبة مدبولي،القاهرة، ١٩٩٩،ص٤٧١.



٤-عبد الغني النابلسي، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز،اعداد:أحمد عبد المجيد هريدي،الهيئة العامة للكتاب،القاهرة، ١٩٨٦،ص١٣٣:١٣٢.

٥-ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، دار الكتاب اللبنا ني، ١٩٧٩،ص ٨٩.

٦-لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب، تحقيق:السعدية فاغية،المغرب،د.ت،ج٣،ص٢٧٥- ٢٨٥.



اختلف أصحاب السير في تعيين يوم المولد الشريف لسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد فصلنا ذلك في ملاحق كتاب يوميّات السيرة النبوية الشريفة، وكان الاختيار الجامع لأكثر الروايات والواقع الحسابي والفلكي الذي حققناه موافقة المولد الشريف ليوم الاثنين ٩ ربيع الأول ٥٣ ق.هـ، ويروي لنا سيدي أحمد السلجماسي في كتابه الماتع: الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز، عن الشيخ القطب الفريد رضي الله عنه وأرضاه صاحب الكرامات الباهرة سيدي عبد العزيز الدبّاغ قدّس الله سره، سؤاله للشيخ عن يوم تاريخ المولد النبوي الشريف من جهة الكشف، فيقول: « وسألته رضي الله عنه عن شهر ولادته عليه الصلاة والسلام فإن العلماء اختلفوا في ذلك اختلافا كثيرا، فقال بعضهم إنه صفر، وقال بعضهم إنه ربيع الآخر، وقال بعضهم إنه رجب، وقال بعضهم إنه رمضان، وقال بعضهم إنه يوم عاشوراء، وقال بعضهم إن الشهر غير معين، أي غير معلوم لنا لا أنه في نفس الأمر غير معين.

فقال رضي الله عنه: الشهر هو ربيع الأول.

وسألته رضي الله عنه عن يوم الولادة من شهر ربيع الأول، فإن العلماء رضي الله عنهم اختلفوا فيه، فقيل في ثانيه، وقيل في سابعه واختاره الأكثرون، وقيل في ثامنه، وقيل في تاسعه، وقيل في ثاني عشره.

فقال رضي الله عنه: إنه ولد عليه الصلاة والسلام في سابع ربيع الأول، وهذا هو الواقع في نفس الأمر، يعني أنه ولد ليلة السابع منه كما سبق أنه عليه الصلاة والسلام ولد ليلا.

وسألته رضي الله عنه عن عام الولادة، فإن العلماء رضي الله عنهم اختلفوا في ذلك أيضا، فقيل عام الفيل بعده بخمسين يوما، وقيل بعده بخمسة وخمسين شهرا، وقيل بعده

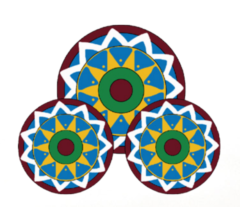
بأربعين شهرا، وقيل بعده بعشر سنين، وقيل بعده بخمسة عشر عاما.

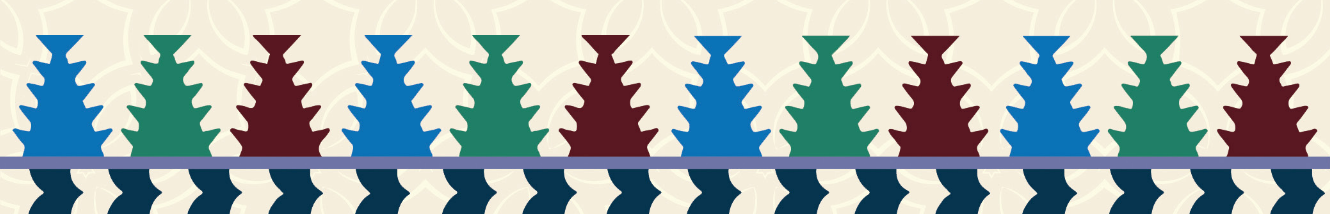
فقال رضي الله عنه: بل ولد عام الفيل قبل مجيء الفيل، وببركة وجوده صلى الله عليه وآله وسلم بمكة طرد الله الفيل عن أهلها.

ولم أسأله عن قدر ما سبقت ولادته مجيء الفيل، ولو سألته رضي الله عنه لعينه، فإنك لو سمعته حين يأخذ في الأجوبة لسمعت آيات الله الكبرى، والله تعالى أعلم»[1]، فهذا ما ذهب إليه رضي الله عنه في تعيين تاريخ هذا اليوم الأغر، وقد راجعت هذا التعيين على برمجيّة الحساب الفلكيّة (آستروكال) التي الحقناها بمشروع يوميّات السيرة فوجدت العام السابق ٥٤ ق.هـ يقع فيه يوم السابع من ربيع الأنور موافقًا الثلاثاء ٢٩ إبريل ٥٧٠ ميلاديًا، وهذا التحديد من جهة الحساب والفلك الذي قمنا به يحتمل الخطأ بمقدار يوم، فتعيين تاريخ الاثنين ٧ ربيع الأول في عام سابق على ما قرره سيدي عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه ممكن حسابيًا وفلكيًا، إلا أن المشهور عند أهل السير مولده صلى الله عليه وآله وسلم بعد قدوم الفيل لا قبله، ولعلّ هذا التعيين الذي وقفنا عليه لسيدي عبد العزيز الدباغ قدّس الله سرّه يفتح الباب لمزيد بحث وفحص وتدقيق علمي للاستفادة مما ذكره سيدي عبد العزيز، والعلم لا يعرف الكلمة الأخيرة، وفوق كل ذي علم عليم.

وعلى أي حال فإن المسلمون قد اصطلحوا على يوم الثاني عشر لأنه يوم دخوله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة كما حققناه في بحث سابق فكان هو يوم الاحتفال الرسمي بالمولد النبوي الشريف في أقطار الأرض، وشهر ربيع الأول هو شهر النور والسرور وكل أيامه احتفال به صلى الله عليه وآله وسلم، فانظر إلى فعل الله سبحانه وتعالى وإخفاءه هذا اليوم الشريف، حتى نحتفل به صلى الله عليه وآله وسلم في كل وقت، وفي هذا العام المبارك ١٤٤٤ هـ وافقت ليلة الاثنين ٧ ربيع الأنور، وهو بالميلادي ٣ أكتوبر ٢٠٢٢م، وفي هذه الليلة الشريفة كتبت هذه السطور فالحمد لله على توفيقه ومنته والحمد لله رب العالمين.

(١) الإبريز: ص.١٨٢-المكتبة الأزهرية للتراث





يا من تعاظم حتى رقّ معناه
ولا تردّى رداء الكِبْرِ إلا هُو
تاهو بحبك أقوام وأنت لهم
نعم الحبيب وإن هاموا وإن تاهوا
ولي حبيب عزيز لا أبوح به
أخشى فضيحة وجهي يوم ألقاه
قالوا أتنسى الذي تهوى فقلت لهم
يا قوم من هو روحي كيف أنساه
ما غاب عنّي ولكن لست أبصره
إلا وقلت جهارًا قل هو اللّه

الإمام الرفاعي



صور الكود للدخول
لموقع الصديقيّة





https://siddiqiya.com/info

